الزيادة في الأساليب العربية

أغراضها ومعانيها ومواقعها

بقلم الدكتور
عبد الحميد
السيد طلب

يحتوي هذا البحث على :

أولا : زيادة الحروف في الأساليب العربية

أ ـ زيادة حروف الجر

ب ـ زيادة حروف العطف

جـ ـ زيادات متفرقة

ثانيا : زيادة الفعل

أ ـ زيادة (كان) .

ب ـ زيادة غير (كان) من الأفعال

ثالثا : زيادة الظرف

أ ـ زيادة (إذ)

ب ـ زيادة (إذا)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تمهيـــد :

اللغة العربية لغة فصاحة وبلاغة بما تحمله من معان تتبدى من خلال سياقها وأسلوبها ونسق التعبير بها ، وبما يحمله إعرابها من معاني الفاعلية أو المفعولية أو الإضافة أو الإسناد .

وإذا نظرنا إلى أسلوب القرآن الكريم ، وهو خير ما يمثل أساليب العربية ، وبجواره الشعر العربي الذي يحتج به وجدنا ما ظاهره زيادة بعض الحروف الداخلة على ركني الإسناد في الجملة الاسمية أو على المسند إليه في الجملة الفعلية ، كما نرى ذلك متبديا مع المفعول به وخبر النواسخ الداخلة على المبتدأ والخبر . كما نجد زيادة لغير الحروف تتمثل في زيادة بعض الأفعال والظروف .

وتلك الزيادة لا تأتي عبثا ، وإنما تحمل في زيادتها معاني جليلة كالتوكيد والتنصيص والتعميم والتخصيص بجوار ما تحمله من جمال الأسلوب وبلاغته ، ولو أننا سقنا الأسلوب مع حذف هذه الزيادات لكان المعنى الأصيل متحققا، ولكن بدون ما كان يحمله الحرف الزائد من تلك المعاني الجانبية التي أشرنا إليها في حال ذكره .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونظرا لتفرق هذه الزيادات في كتب النحو والأدب والبلاغة رأيت أن أقدمها للدارس والباحث مجتمعة مدروسة ، حتى أجنبه مشقة البحث في هذه المراجع ، وكان جل اعتمادي على ما جاء في القرآن الكريم فهو المصدر الأول للدراسات النحوية واللغوية .

والله المستعان ، ، ،

أولا : زيادة الحروف في الأساليب العربية

أ ـ زيادة حروف الجر :

حروف الجر في العربية كثيرة تربو على العشرين حرفا وليست كلها قابلة للزيادة ، وانما بعضها هو الذي يزاد ، ويتمثل ذلك فيما يلي :

١ ـ الباء

تزاد (باء) الجر للتوكيد بصفة عامة ، وقد تكون زيادتها :

أ ـ قبل المرفوع :

فتزاد الباء الجارة قبل المرفوع في المواضع التالية :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مع المبتدأ :

وذلك كقول العرب : بِحسبِك درهمٌ[١] فالباء : حرف جر زائد ، وحسب : مبتدأ مرفوع ، ودرهمٌ : خبر المبتدأ .

مع خبر المبتدأ الواقع بعد (ما) النافية :

وذلك كقوله تعالى : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[٢] .

اذا اعتبرنا (ما) غير عاملة ، والجملة بعدها مبتدأ وخبر ، ودخلت (الباء) على خبر المبتدأ (ظلام) ، وهو مرفوع بصفة مقدرة ، ومنه قول الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا إِنْ أَبُو مَالِكٍ بِوَاهٍ وَلَا بِضَعِيفٍ قُوَاهُ[٣]

فـ (ما) هنا غير عاملة لوجود (إنْ) الزائدة بعدها .

مع اسم (ليس) اذا تأخر عن خبرها :

وذلك كقول الشاعر :

أَلَيْسَ عَجِيباً بِأَنَّ الفَتَىٰ يُصَابُ بِبَعْضِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ(٤)

مع الفاعل

وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ كَفَىٰ باللهِ شَهِيداً ﴾(٥)، وقوله : ﴿ وكَفَىٰ بربِّكَ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾(٦)، وقوله : ﴿ وكَفَىٰ باللهِ حَسِيباً ﴾(٧).

مع خبر (إنَّ ـ لكن ـ ليت) :

وزيادتها في هذه المواضع نادرة(٨)، فمن زيادتها مع خبر (إنَّ) قول الشاعر :

فإنْ تَنْأَ عنها حِقْبَةً لاتُلاقِهَا فإنَّكَ مِمَّا أَحْدَثَتْ بالمُجَرِّبِ(٩)

ومن زيادتها مع خبر (لكن) قول الآخر :

ولكِنَّ أَجْراً لو فَعلْتَ بِهَيِّنٍ وهَلْ يُنكَرُ المعْرُوفُ فِي النَّاسِ والأَجْرُ(١٠)

ومن زيادتها مع خبر (ليت) قول الشاعر :

. أَلَا ليتَ ذَا العيشَ اللَّذِيذَ بِدَائِمِ(١١)

ب ـ زيادة (الباء) مع المنصوب :

وتزداد (الباء) بكثرة مع المنصوب على النحو التالي :

مع المفعول به :

وذلك كقوله تعالى : ﴿ ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ ﴾(١٢).

مع خبر (ليس) :

ونعني بها (ليس) غير الاستثنائية ، كقوله تعالى : ﴿ أَليسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾(١٣)، وقوله تعالى : ﴿ أَليسَ اللهُ بِعزيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴾(١٤).

مع خبر (ما) الحجازية العاملة عمل (ليس)

وذلك كقوله تعالى : ﴿ وما اللهُ بغافلٍ عَمَّا تَعملُونَ ﴾(١٥).

وتزاد (الباء) بقلة في المواضع التالية :

في خبر (لا) العاملة عمل (ليس)

وذلك كقول سواد بن قارب يخاطب الرسول :

فكُنْ لِي شَفيعاً يـوْمَ لا ذُو شفـاعـةٍ بِمُغْنٍ فَتِيلاً عن سَوَادِ بنِ قَـارِبِ(١٦)

في خبر كل ناسخ منفي :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وذلك كقول الشاعر :

وإنْ مُـدَّتِ الأيـدِي إلَىٰ الـزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ إذْ أَجْشَعُ القومِ أَعْجَلُ(١٧)

مع المفعول الثاني للفعل (وجد) :

وذلك لأنه خبر في الأصل ، ومثال ذلك قول الشاعر :

دَعَـانِي أَخِي والخَيْـلُ بَيْنِي وبيْنَـهُ فلمَّا دَعَـانِي لَمْ يَجِـدْنِي بِقُعْـدَدِ(١٨)

وقد تحذف باء الجر الأصيلة ، فينتصب ما كان مجرورا بعدها على نزع الخافض تشبيها له بالمفعول به نحو قوله تعالى ﴿ أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهم ﴾(١٩) أي كفروا بربهم .

٢ ــ لام الجر :

تزاد (لام الجر) لمجرد التوكيد ، وذلك كقول ابن ميادة :

ومَلَكْتَ مـابَـيْنَ الـعِـرَاقِ ويَثْـرِبٍ مُلْكـاً أَجَـارَ لِمُسْلِمٍ ومُعَـاهِـدِ[٢٠]

والأصل : ملكا أجار مسلما ، وزيدت لام الجر لتوكيد معنى الاجارة الكاملة التي وصف بها الممدوح .

وقد تأتي لام الجر زائدة لتقوية العامل الذي ضعف عن العمل :

أ ــ اما لكونه فرعا في العمل نحو قوله تعالى: ﴿ مصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ ﴾[٢١] وقوله تعالى : ﴿ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيد ﴾[٢٢]، فالأصل في العمل للأفعال ، واسم الفاعل (مُصَدّقا) وصيغة المبالغة (فَعّال) كلاهما فرع في العمل على الفعل ، لأنهما أضعف منه ، فجيء باللام الجارة لتقوية الفرع .

ب ــ واما بتأخر العامل عن المعمول ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ لِلرؤْيَا تَعْبُرونَ ﴾[٢٣].

وقد تزاد اللام الجارة مع الفاعل ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُون ﴾[٢٤]، فالأصل (هيهات هيهات ما توعدون) ، أي بَعُدَ ما توعدون من البعث ، فاللام على هذا زائدة[٢٥].

٣ ــ (من) الجارة :

وتزاد (من) الجارة في الأسلوب للتنصيص على العموم ولإفادة التوكيد للمعنى المراد ، وتسمى (من) الاستغراقية ، ولكنها لا تزاد إلا بشروط :

ــ أن تسبق بنفي أو نهي أو استفهام .

ــ أن يكون مجرورها نكرة .

ــ أن يكون مدخولها فاعلا ، نحو قوله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ ﴾[٢٦]، وقوله تعالى : ﴿ ما جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ ولا نَذِيرٍ ﴾[٢٧]، ومنه قول الشاعر :

فَـمَا حَمَلَتْ مِنْ نَـاقَـةٍ فَـوْقَ رَحْلِهَـا أَبَـرَّ وأَوفَى ذِمَّـةً مِـنْ مُحَـمَّـدِ[٢٨]

والتقدير : ما حملت ناقةٌ .

أو مبتدأ : وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ ﴾(٢٩)، ونحو قوله تعالى : ﴿ ولَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾(٣٠)، أي لهم فيها كلُّ الثمرات .

أو نائب فاعل : وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتاب والمشركِين أَنْ يُنَزَّلَ عليكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾(٣١).

أو مفعولا به : وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنهُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾(٣٢) أي هل تحس منهم أحداً ، ومثل قوله تعالى : ﴿ يَغْفِرْ لكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾(٣٣)، وبذلك قال هشام والكسائي(٣٤).

٤ ــ (إلى) الجارة :

وتزاد (إلى) الجارة في الأسلوب ، وبذلك قال الكوفيون ، واستدل الفراء على زيادتها بقراءة بعضهم(٣٥) لقوله تعالى : ﴿ فاجْعَلْ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ ﴾(٣٦) بفتح (واو) الفعل (تَهْوَى) ، أي اجعل افئدة من الناس تهواهم فحرف الجر (إلى) على هذه القراءة زائد ، والضمير بعده مفعول به للفعل (تَهْوَى)(٣٧).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ب ــ زيادة حروف العطف

وتزاد حروف العطف في الأساليب العربية لتوكيد المعنى ونهجا للبلاغة والفصاحة ومن ذلك :

١ ــ (أم) :

وذلك كقول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ ﴾(٣٨) قال أبو زيد : (أم) زائدة والتقدير : أفلا تبصرون أنا خير من هذا الذي هو مهين ، ومن ذلك أيضا قول الشاعر :

يَـالَيْتَ شِعْرِي ولا مَنْجَى مِنَ الهَـرَمِ أَمْ هَلْ عَلَى العَيْشِ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ نَدَمِ(٣٩)

والتقدير : ليت شعري . . . هل على العيش بعد الشيب من ندم .

وكقول الآخر :

يـا دَهْنُ أَمْ مَـا كَـانَ مَشْيي رَقَصـاَ بَـلْ قَـدْ تَكـوُنُ مِشْيَتِي تَـوَقُّصَـا[٤٠]

٢ ــ (الواو) :

وتأتي (الواو) مقحمة في الأسلوب ، ولو أننا حذفناها لكان الكلام تـاما واضح المعنى ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ **ولَمَّا ذَهبُوا بِهِ وأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الجُبِّ وأَوْحَيْنَا إِليهِ** ﴾[٤١]، والتقدير : ولما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيـابة الجب أوحينا اليه ، فالفعل (أوحينا) جواب لأداة الشرط (لما) ، ومن ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا أَسْلَمَا وتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ونَادَيْنَاهُ أَنْ ياإِبْرَاهِيمُ** ﴾[٤٢]، والتقدير : فلما أسلما وتله للجبين ناديناه ، فالفعل (ناديناه) جواب (لما) الشرطية ، و (الواو) مقحمـة زائدة ، ومن ذلـك أيضا قـولـه تعـالى : ﴿ **حَتَّى إِذَا جَـاءُوهَـا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا** ﴾[٤٣] على رأي من قال : إن (فُتِحَتْ) هي جواب الشرط[٤٤].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجدير بالذكر أن (الواو) تأتي مقحمة على نية السقوط مع (لما) وبعد (حتى) فقط كما جاء في الآيات السابقة ، ولا تقحم مع غيرهما الا شذوذا ، كقولنا في الصلاة (رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ) ، فالواو فيه مقحمة زائدة[٤٥].

وقد تأتي (الواو) زائدة لمجرد توكيد المعنى ، كقول بعضهم : ما رأيت أحداً إلّا وعليه ثيابٌ حَسَنَةٌ ، ولك أن تقول : إلّا عليهِ ثيابٌ حَسَنَةٌ ، دون الواو[٤٦] وقد جاء ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **ومَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ** ﴾[٤٦]، وقوله تعالى أيضا : ﴿ **ومَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلّا لَهَا مُنْذِرُونَ** ﴾[٤٨] دون (الواو) .

وقد جاء ذلك فيما يعتد به من شعر العرب ، حيث ذكرت (الواو) مـرة وتركت أخرى والموضع واحد ، وهذا دليل زيادتها ، قال الشاعر :

إذَا مـا سُتُـورُ البَيتِ أُرخِـيَ لَمْ يَكُنْ سِـرَاجٌ لَنَـا إلاّ وَوَجْهُـكَ أَنْـوَرُ(٤٩)

والتقدير : لم يكن لنا سراج إلا وجهك أنور ، وقد ذكر هنا (الواو) ولو أسقطناها لم يختل المعنى ، وقال الآخر :

ومَـا مَسَّ كَفِّي مِنْ يَـدٍ طَـابَ رِيحُهَـا مِنَ النَّاسِ إلاّ رِيحُ كَفَّيْكَ أَطْيَبُ(٥٠)

فترك (الواو) والمقام في البيتين واحد ، ولم يتأثر المعنى بتركها .

٣ ــ الفاء :

وتأتي (الفاء) زائدة للتوكيد ، فتفقد طبيعة العطف ، ويتأتى ذلك في كل ما يحتاج الى صلة ، ويتضمن ما تدخل عليه معنى الجزاء ، وبذلك قال أبو عمر الجرمي وكثير من النحويين ، كقولنا : الذي يُخْلِصُ فَلَهُ ثَوَابُ إِخْلَاصِه ، والذي يَقُومُ فَلَهُ دِرْهَمٌ .

وقد جاء ذلك كثيرا في القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ المَوْتَ الَّذِي تَفِـرُّونَ مِنْهُ فَـإِنَّهُ مُـلَاقِيكُمْ** ﴾(٥١)، وقولـه تعالى : ﴿ **وَمَـا بِكُمْ مِنْ نِعْمَـةٍ فَمِنَ اللهِ** ﴾(٥٢) فقد وقعت (الفاء) في خبر (إنّ) التي جاء اسمها (الموت) موصوفا باسم موصول شبيه باسم الشرط في الآية الأولى ، كما وقعت (الفاء) في خبر (ما) الموصولة الشبيهة باسم الشرط ، وفي المثالين زائدة للتوكيـد ، ويطلق عـلى هذه (الفاء) : الفاء الشبيهة بفاء الجزاء والجواب ، ومثل ذلك أيضا قولـه تعالى : ﴿ **واللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا** ﴾(٥٣) فقد وقعت (الفاء) زائدة للتوكيد في خبر المبتدأ (اللذان) وهو هنا شبيه بالشرط ، ومثل ذلك أيضا قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَموالَهُمْ باللَّيلِ والنَّهارِ سِرًّا وعَلَانِيَةً فلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ** ﴾(٥٤)، فالفاء في كل هذه المواضع زائدة للتوكيد ، ودخلت على الخبر الذي أشبه الجزاء بعد اسم أشبه الشرط(٥٥).

وقد تزاد (الفاء) للتوكيد أيضا فيما لا يحتاج الى صلة كقول الشاعر :

لا تَجْـزَعِـي إنْ مُنْـفِسـاً أَهْـلَكْـتُـهُ وإذَا هَلَكْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَـاجْزَعِي(٥٦)

فالفاء : زائدة : إما في قوله (فعند) اذا اعتبرنا أن جواب (اذا) هو (فاجزعي) ، وإما في قوله (فاجزعي) اذا اعتبرنا أن (الفاء) في (فعند) هي فاء الجواب ، ودخلت على ما تعلق به ، وقد تقدم على متعلقه ، لأن (اذا) تقتضي جوابا واحدا[٥٧]، ولا يستحق أكثر من (فاء) جواب واحدة .

جـ ــ زيادات متفرقة للحروف

وتزاد بعض الحروف في الأساليب العربية دون أن يكون لها عمل إعرابي في هذا الموقع ، وذلك لغرض من الأغراض اللفظية أو المعنوية ، ومن ذلك :

١ ــ (أَنْ) بفتح الهمزة وسكون النون :

وهي التي تأتي تالية للفظ (لَمّا) التي بمعنى (حين) ، ولذا يطلق عليها اللغويون (لما) الحينية ، ومثال ذلك قوله الله تعالى : ﴿ **وَلَمَّا أَنْ جَاءَ البَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ** ﴾[٥٨]، وقوله تعالى : ﴿ **وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ** ﴾[٥٩]، ومثل قول الشاعر :

وَلَمَّا أَنْ تَحَمَّلَ آلُ لَيْلَى سَمِعْتُ بِبَيْنِهِمْ نَعَبَ الغُرَابَا[٦٠]

وقد تأتي (أَنْ) زائدة بين (الكاف) ومجرورها كقول الشاعر :

وَيَوماً تُوَافِينَا بِوَجْهٍ مُقَسَّمٍ كَأَنْ ظَبْيَةٍ تَعْطُو إِلَى وَارِقِ السَّلْمِ[٦١]

على رواية من جر (ظبية) بالكاف ، والأصل : كظبيةٍ تعطو ، وزيدت (أَنْ) بين الجار والمجرور .

كذلك تزاد (أن) بين القسم والأداة (لو) كقول الشاعر :

فَأُقْسِمُ أَنْ لَوِ الْتَقَيْنَا وَأَنْتُمُ لَكَانَ لَكُمْ يَوْمٌ مِنَ الشَّرِّ مُظْلِمُ[٦٢]

فالأداة (أن) زائدة بين القسم و (لو) ، والتقدير : فأقسم لو التقينا وأنتم لكان . . .

٢ ــ (إنْ) بكسر الهمزة وسكون النون :

وتزاد (انْ) بكسر الهمزة وسكون النون كثيرا بعد (ما) النافية للتوكيد اللفظي أو المعنوي اذا دخلت على جملة فعلية ، كقول الشاعر :

مَـا إنْ أَتَيْتُ بِشيءٍ أَنْـتَ تَكْـرَهُـهُ إِذَنْ فَلاَ رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ يَـدِي(٦٣)

والأصل : ما أتيت بشيء أنت تكرهه ، و (ان) زائدة لتوكيد النفي .

كما تزاد بعد (ما) النافية الداخلة على جملة اسمية ، كقول الشاعر :

فَـمَا إنْ طِـبُّنَـا جُـبْـنٌ وَلَـكِـنْ مَـنَـايَـانَـا ودولـةُ آخَـرِيـنَـا(٦٤)

والتقدير : فما طبنا جبن ، وكقول الآخر :

بَنِي غُـدَانَـةَ مَـا إنْ أَنْـتُـمُ ذَهَـبٌ ولا صَـرِيفٌ وَلكِنْ أَنْتُمُ الخَـزَفُ(٦٥)

والأصل : ما أنتم ذهب ، و (ان) زائدة لتوكيد النفي .

و (ان) الزائدة هذه بعد (ما) النافية تمنع (ما) الحجازية عن العمل ، لأن من شروط عملها ألا تليها (ان) الزائدة . وإلا بطل عملها وأعرب ما بعدها مبتدأ وخبرا(٦٦) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد تزاد (إنْ) هذه بعد (ما) الموصول الاسمي كقول الشاعر :

يُـرَجِّـى المَـرْءُ مَـا إنْ لاَ يَـرَاهُ وَتَـعْـدُو دُونَ أَدْنَـاهُ الخُـطوبُ(٦٧)

والأصل : يرجى المرء ما لا يراه ، و (إنْ) زائدة .

وقد تزاد (إنْ) بعد (ما) المصدرية كقول الشاعر :

وَرجِّ الفتَى لـلخـيرِ مَـا إنْ رأيتَـهُ عـلى السِّنِّ خَيْراً لا يَـزَالُ يَـزِيـدَ(٦٨)

والتقدير : ورج الفتى للخير ما رأيته لا يزال يزيد .

وقد تزاد (إنْ) بعد (أَلاَ) الاستفتاحية كقول الشاعر :

أَلاَ إنْ سَـرَى لَـيْـلِي فَبِـتُّ كَئِيـبَـا أُحَـاوِلُ أَنْ تَنْأَى النَّـوَى بِغُضُوبَـا(٦٩)

والأصل : ألا سرى ليلى فبت كئيبا . .

٣ ــ التاء :

وتزاد التاء سماعا في بعض الكلمات مثل : (رُبَّ ـ ثمّ ـ لاحِينَ ـ الآن) ، وقد تكون زيادتها بعد حروف الكلمة للتأنيب أو المبالغة ، فيقال : (رُبَّتَ ـ ثمَّتَ ـ لاتَ) وفي القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **ولاَتَ حِينَ مَنَاصٍ** ﴾[٧٠]، و (لات) هذه مكونة من (لا) النافية و (التاء) الزائدة ، وهي عاملة عمل (ليس) مع شقيقاتها (ما ولا وإنْ) واسمها محذوف وجوبا ، وهذا أحد شروط اعمالها ، وخبرها لفظ (حين) في الآية ، والتقدير : ولاتَ الحِينُ حِينَ مناصٍ[٧١]، ومن ذلك قول الشاعر :

نَدِمَ البُغَاتُ ولاَتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ والبَغْيُ مَرْتَعُ مُبْتَغِيهِ وَخِيمُ[٧٢]

وقد تكون زيادتها قبل الكلمة كما في (حين ـ الآن) ، فيقال : (تَحِينَ وتَالآنَ) ، وقد سمع عن العرب قولهم : حَسْبُكَ تَلاَنَ أي حسبك الآن ، كما سمع عنهم قولهم : تَحِينَ جِئْت يريدون : الحين جئت ، فزادوا (التاء) في أولها[٧٣].

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ ــ (لا) :

تأتي (لا) زائدة لغير توكيد كقوله تعالى : ﴿ **لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ ولاَ أُقْسِمُ بالنَّفسِ اللَّوَّامَة** ﴾[٧٤] وقوله : ﴿ **فَلاَ أُقْسِمُ بالشَّفَقِ** ﴾[٧٥] وقوله : ﴿ **لا أُقْسِمُ بِهَذَا البَلَد** ﴾[٧٦]، وقوله : ﴿ **فَلاَ أُقسِمُ برَبِّ المَشَارِقِ والمَغَارِب** ﴾[٧٧].

فلفظ (لا) في هذه الآيات وغيرها زائد على رأي البصريين وعلى رأي جمهور المفسرين ، وبذلك قال الكسائي من الكوفيين[٧٨] أما الفراء ومن تبعه من الكوفيين فقالوا : ان (لا) لا تزاد في أول الكلام ، ولكنها في الآيات المذكورة وما جاء على شاكلتها جاءت ردا على كلام سابق صدر عن المشركين ، ثم تبع ذلك القسم : أقسم بيوم القيامة . . . وهكذا[٧٩].

وتزاد (لا) للتوكيد في الأساليب المنفية مثل قولنا : ما جَاءَنِي مُحَمَّدٌ ولا عَلِيٌ ، وقد تتكرر ، فيقال : ما جاء لا مُحَمَّدٌ ولا عَلِيٌ ، ولو حذفناها في الأسلوبين لما تغير المعنى ، ولكن وجودها يؤكد النفي المستفاد من الأسلوب قبلها ، ومن ذلك أيضا قول الله تعالى : ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعمْتَ عليْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ولا الضَّالِينَ** ﴾[٨٠]، فلفظ (لا) زائد للتوكيد ، والتقدير : غير المغضوب عليهم والضالين ، أي وغير الضالين ، ولفظ (الضالين) معطوف على (المغضوب عليهم) .

٥ ــ الهاء :

وتأتي (الهاء) زائدة في الوقف لبيان الحرف أو الحركة قبلها كدخولها بعد ألف الندبة لبيان الألف في قولك : وَاعمراه ، وازيداه ، وكدخولها في الوقف لبيان الحركة في قول الله تعالى : ﴿ **فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾[٨١] وقوله تعالى : ﴿ **فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ** ﴾[٨٢] وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ** ﴾[٨٣] .

وتزاد هذه (الهاء) أيضا بعد (ياء) المتكلم مثل قوله تعالى : ﴿ **هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ**[٨٤] **أَنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَه** ﴾[٨٥] ومثل قوله تعالى : ﴿ **وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ** ﴾[٨٦] وقوله : ﴿ **مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ**[٨٧] . **هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ** ﴾[٨٨] .

وقد تزاد (الهاء) في الوقف على الفعل المعتل في حالة الجزم ، أو مع صيغة الأمر منه ، عوضا عن الحرف المحذوف عند بعض العرب ، ، مثل قولهم : لا تَدْعُهْ ، ولا تَخْشَه ، ولا تَرْمِهْ ، ومثل قولهم : اخْشَهْ وادْعُهْ وارْمِهْ[٨٩] .

وقد تأتي (الهاء) زائدة لامكان النطق بالكلمة ، وذلك خاص بفعل الأمر الذي يصير على حرف واحد مثل قولنا : عِهْ وقِهْ وَرِهْ[٩٠] .

٦ ــ اللام :

وتزاد اللام غير الجارة قبل خبر المبتدأ ، كقول رؤبة :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أُمُّ الحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ تَرْضَى مِنَ اللَّحْمِ بِعَظْمِ الرَّقَبَهْ(٩١)

والأصل : أم الحليس عجوز .

وتزاد أيضا في خبر (لكنَّ) كقول الشاعر :

يَلُومُونَنِي فِي حُبِّ لَيْلَىٰ عَوَاذِلِي وَلَكِنَّنِي مِنْ حُبِّهَا لَعَمِيدُ(٩٢)

والأصل : ولكنني من حبها عميد .

وتزاد في خبر (أَنَّ) المفتوحة الهمزة كقراءة سعيد بن جبير لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ﴾(٩٣).

وتزاد أيضا فارقة بين (إِنْ) المخففة من الثقيلة اذا أهملت وبين (إِنْ) النافية ، وتقع بعدها ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ ﴾(٩٤).

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثانيا : زيادة الفعل

وقد يزاد الفعل في الأسلوب العربي ، وعلامة زيادته أنه لو أسقط من الأسلوب لم يختل المعنى ، ويتجلى ذلك فيما يلي :

١ ــ جواز زيادة (كان) في الأسلوب :

ويكون ذلك بشرطين :

الأول : أن تكون بلفظ الماضي (كَانَ) ، وأما زيادتها بلفظ المضارع فنادر كقول القائلة تداعب وليدها :

أَنْتَ ـ تَكُونُ ـ مَاجِدٌ نَبِيلُ إِذَا تَهُبُّ شَمْأَلٌ بَلِيلُ(٩٥)

والتقدير : أنتَ مَاجِدٌ نبيلٌ ، ولفظ (تكون) زائد .

الثاني : أن تقع (كان) بين شيئين متلازمين غير الجار والمجرور ، كما هو الحال :

١ ــ بين (ما) التعجبية وفعل التعجب :

وذلك كقولنا : مَا ـ كانَ ـ أَحْسَنَ خالداً ، ومَا ـ كانَ ـ أَجْمَلَ القَمَرَ ، والأصل فيهما : ما أحسنَ خالداً ، وما أجملَ القمرَ ، فلفظ (كان) زائد .

٢ ــ بين الصفة والموصوف :

وذلك كقول الشاعر :

فِي عُـرَفِ الجَنَّةِ العُلْيَـا الَّتِي وَجَبَتْ لَهُمْ هُنَاكَ بِسَعْيٍ ـ كَانَ ـ مَشْكُورِ[٩٦]

والأصل : بسعي مشكور .

٣ ــ بين الفعل ونائب الفاعل :

وذلك كقولنا : هَؤلاءِ قومٌ لَمْ يُوجَدْ ـ كانَ ـ مِثْلُهُمْ ، حيث زيدت (كان) بين الفعل المبني للمجهول (يُوجَد) ونائب الفاعل (مِثلُهُم) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ ــ بين المعطوف عليه والمعطوف :

وذلك كقول الشاعر :

فِي لَجَّـةٍ غَمَـرَتْ أَبَـاكَ بُحُـورُهَـا فِي الجَاهِلِيَّةِ ـ كَـانَ ـ وَالإِسْـلامِ[٩٧]

والأصل : غمرت أباك بحورها في الجاهلية والاسلام ، وزيدت (كان) بين المعطوف عليه (الجاهلية) والمعطوف (الاسلام) .

٥ ــ بين (نعم) وفاعلها :

وذلك كقولهم : نِعمَ كانَ المُجِدُّ ، ونِعْمَ كانَتِ الفَتَاةُ ، وكقول الشاعر :

وَلِبِسْتُ سِـرْبَـالَ الشَّبَـابِ أَزُورُهَـا وَلَنِعْمَ ـ كَـانَ ـ شَبِيبَـةُ المُحْتَـالِ[٩٨]

وهناك متلازمان لا يصح وقوع (كان) الزائدة بينهما ، وهما الجار والمجرور

واذا جاءت بينهما كان ذلك شذوذا ، كما في قول الشاعر :

سَـرَاةُ بَـنِي أَبِي بَكْـرٍ تَـسَـامَـىٰ عَـلَى ـ كَـان ـ المُسَومةِ العِرَابِ[٩٩]

والأصل : تتسامى على المسومة العراب ، ولفظ (كان) زائد .

و (كـان) الزائـدة لا تعمل رفعـا ولا نصبا ، وانمـا هي حشـو زائـد في الأسلوب .

ب ـ جواز زيادة الفعل غير (كان)

وزيد الفعل (غير كان) في الأسلوب ، واعتبره بعضهم شذوذا ، وقد سمع قولهم : مَا أَصْبَحَ أَبرَدَهَا ، وما أَمْسَىٰ أَدْفَأَهَا ، حيث زيـد الفعلان (أَصْبَحَ وأَمْسَىٰ) بين (ما) التعجبية والفعل بعدها ، وقد نقل ذلك عن الكوفيين[١٠٠] كما أجاز أبو علي زيادة (أصبح وأمسى) في قول القائل :

عَـدُوُّ عَـيْـنَـيْـكَ وشَـانِـيـهِـمَا أَصْبَـحَ مَشْـغُـولٌ بِمَشْـغُـولِ[١٠١]

والأصل : عدو عينيك وشانيهما مشغول ، وكما في قول الآخر :

أَعَـاذِلَ قُـولِي مَـا هَـوَيْتِ فَـأَوِّبِي كَثِيراً أَرَىٰ أَمْسَى لَدَيْـكَ ذُنُوبِي[١٠٢]

والتقدير : أرى لديك ذنوبي ، والفعل (أمسى) زائد[١٠٣]

ويلاحظ أن زيادة الفعل لم تكن مجردة من افادة معنى ، فزيادة (كان) بلفظ الماضي يجيء توكيـدا للمعنى المستفاد وتقـريرا لـه بورود (كـان) الزائـدة بهذه الصيغة ، وكذلك زيادتها بلفظ المضارع في قول القائلة (أنت تكون ماجد . .) تشعر باستقبال الحدث وتوقعه ، ولو أنهم اعتبروا زيادتها في هذه الصيغة نادرة أو شاذة .

كذلك كانت زيادة (أمسى وأصبـح) لمعنى من المعاني لا تخفى عـلى من يتذوق العربية ، ولو أن بعضهم اعتبر ذلك شذوذا ، فقد دلت زيادة (أصبح) بين (ما) التعجبية و (أفعل) التعجب في قولهم : ما أَصْبَحَ أبردها على توكيد المعنى المتعجب منه في وقت الصباح ، كما دلت زيادة (أمسى) بـين (ما) التعجبيـة

و (أفعل) التعجب على توكيد المعنى المتعجب منه في وقت المساء ، كذلك جاءت زيادة (أصبح وأمسى) فيما استشهد به أبو علي دالة على توكيد معنى الصيرورة والتحول .

ثالثا : زيادة الظرف

وتزاد بعض الظروف في الأسلوب العربي بحيث لو أنها حذفت أو اسقطت لم يتغير المعنى ، ومن ذلك :

١ ــ اذ :

قال أبو عبيدة[١٠٤] : (اذ) زائدة في قوله تعالى : ﴿ **وإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرضِ خَلِيفَةً** ﴾[١٠٥] وفي قوله تعالى : ﴿ **وإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدمَ** ﴾[١٠٦] وفي قوله تعالى : ﴿ **وإِذْ عَلَّمْتُكَ الكِتَابَ والْحِكْمَةَ والتَّورَاةَ والإِنجِيلَ** ﴾[١٠٧]، ومعناه : وقال ربك للملائكة ، وقلنا للملائكة اسجدوا لآدم ، وعلمتك الكتاب والحكمة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ونلاحظ أن (إِذْ) في الآيات السابقة ـ ولو أن المعنى مستقيم مع إسقاطها ـ تؤكد وقوع الحدث وتقريره ، وهو ثبوت قول الله للملائكة في الآيتين الأوليين ، وثبوت تعليم الله عيسى بن مريم الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل في الآية الثالثة ، وهذا ما دعا بعض العلماء الى أن يعتبروا قول أبي عبيدة بزيادة (إِذْ) هنا إقداماً منه وجرأة لأن القرآن العزيز ينبغي ألاّ يُتَكَلَّمَ فيه الا بغاية تحري الحق[١٠٨] .

٢ ــ إذا :

وهو الظرف الثاني الذي قال أبو عبيدة بزيادته ، وقد استشهدوا على زيادته بقول الشاعر :

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قُتَائِدَةٍ شَلًّا كَمَا تَطْرُدُ الجَمَّالَةُ الشُّرُدَا[١٠٩]

قال أبو عبيدة : معناه : حتى أسلكوهم[١١٠]، وبخاصة اذا عرفنا أن البيت قد جاء آخر القصيدة كما ذكر ذلك صاحب (الأنصاف)[١١١]، فلا ينتظر بعد ذلك جواب للفظ (إذا) ، وان كان ابن الأنباري عده من محذوف الجواب ، ليكون ذلك أبلغ في الايجاز والاختصار[١١٢].

الهوامش

(١) انظر شرح الأشموني ١/١٨٩ وتهذيب النحو ١/١٤٦ ومعجم النحو ٣٢٨ .

(٢) آية ٤٦ من سورة (فصلت) .

(٣) البيت للمتنخل اليشكري : شرح الأشموني ١/٢٥٢ وأمالي المرتضي ١/٣٠٦ وخزانة الأدب ٢/٣٣ والهمع ١/١٢٧ والدرر ١/١٠٠ .

(٤) نسب البيت الى محمود النحاس ، وانظر فيه : الكامل للمبرد ٣٣٢ ومغني اللبيب . ١١ والتصريح ١/٢٠١ وتهذيب النحو ١/٢٣٠

(٥) آية ٧٨ (النساء) .

(٦) آية ١٧ (الاسراء) .

(٧) آية ٦ (النساء) .

(٨) تهذيب النحو ١/٢٣٣ .

(٩) البيت لأمرىء القيس ، وانظر فيه : شرح الأشموني ١/٢٥٢ وشرح شواهد العيني ٢/١٢٦ والتصريح ١/٢٠٢ والهمع ١/١٢٧ والدرر ١/١٠١ وديوانه ٤٢ .

(١٠) البيت بجهود القائل ، وانظر فيه : شرح الأشموني ١/٢٥٢ وتهذيب النحو ١/٢٣٣ والهمع ٢/١٢٨ .

(١١) البيت لم أعثر له على قائل أو تكملة ، وانظر فيه الهمع ٢/١٢٨ وشرح الأشموني ١/٢٥١ وتهذيب النحو ١/٢٣٣ ، وقد ورد في بعض المراجع برواية أخرى لا تمت الى موضع الاستشهاد به هنا بصلة ، تقول هذه الرواية :

يقول إذا اقلَوْلَى عليها وأقردَتْ أَلَا هل أخو عيشٍ لذيذٍ بَدَائمِ

والرواية المشار اليها في صلب الموضوع (ألا ليتَ ذا العيشَ اللذيذَ بدائمِ) هي رواية أوضح المسالك ٢١٧ وشرح الأشموني ١/٢٥١ .

(١٢) آية ١٩٥ (البقرة) .

(١٣) آية ٣٦ (الزمر) .
(١٤) آية ٣٧ (الزمر) .
(١٥) آية ٩٩ (آل عمران) .
(١٦) انظر مغني اللبيب ٤١٩ وشرح شواهد العيني ٢/١٤٤ والتصريح ١/٢٠٢ والهمع ١/١٢٧ والدرر ١/١٠١ .
(١٧) البيت للشنفرى ، وانظر فيه : مغني اللبيب ٥٦٠ وشرح شواهد العيني ٢/١١٧ والهمع ١/١٢٧ .
(١٨) البيت لدريد بن الصمة ، وانظر فيه أوضح المسالك ش ١١٤ وشرح الأشموني ١/٢٥١ .
(١٩) آية ٦٨ (هود) .
(٢٠) البيت لابن ميادة ، وانظر فيه : معجم النحو ٣٠٤ ومغني اللبيب ٢١٥ وشرح شواهد العيني ٣/٢٧٨ والتصريح ٢/١١ والهمع ٢/٣٣ وشرح الأشموني ٢/٢١٦ .
(٢١) آية ٤١ (البقرة) .
(٢٢) آية ١٠٧ (هود) وآية ١٦ (البروج) .
(٢٣) آية ٤٣ (يوسف) .
(٢٤) آية ٣٦ (المؤمنون) .
(٢٥) انظر املاء ما من به الرحمن من وجوه الاعراب ١/٨١ ، وقيل : ان (هيهات) بمعنى (البعد) مبتدأ ، والجار والمجرور (لما توعدون) خبره ، وقد رجح أبو البقاء العكبرى في (املاء ما من به الرحمن) الرأي الأول وهو ما ذكرناه في صلب البحث ، أما الرأي الثاني (أصالة حرف الجر) فقد رجحه صاحب (البيان في غريب اعراب القرآن) ٢/١٨٤ .
(٢٦) آية ٢ (الانبياء) .
(٢٧) آية ٢١ (المائدة) .
(٢٨) البيت : لأنس بن زنيم الكناني ، وكان قد هجا رسول الله فأهدر الرسول دمه فقدم عليه معتذرا بقصيدة منها هذا البيت ، فقبل عذره (الخزانة ٣/١٢١) ، وانظر فيه الأزهية ٢٣٦ .
(٢٩) آية ٣ (فاطر) .
(٣٠) آية ١٠٤ (آل عمران) .
(٣١) آية ١٠٥ (البقرة) .
(٣٢) آية ٩٩ (مريم) .
(٣٣) آية ٣١ (الأحقاف) وآية ٤ (نوح) .
(٣٤) الأزهية ٢٣٦ والكوفيون لا يشترطون أن يتقدم على (من) الجارة نفي أو شبهه .
(٣٥) أصحاب تلك القراءة : علي بن أبي طالب وزيد بن أبي طالب ومحمد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد رضي الله عنهم ، وانظر فيها : البحر ٥/٤٣٣ والكشاف ٢/٢٨٠ والمحتسب ١/٣٦٤ ، وتهذيب اللغة واللسان (هوى) والمغنى ١/٧١ ومعجم القراءات القرآنية ٣/٢٤٠ .
(٣٦) آية ٣٧ من سورة (ابراهيم) .
(٣٧) تهذيب النحو ٢/٢٥٠ .
(٣٨) آية ٥١ و ٥٢ من سورة (الزخرف) .
(٣٩) البيت لساعدة بن جوية ، وانظر فيه : خزانة الأدب ٤/٤٢١ وأمالي الشجري ٢/٣٣٦ ومغني اللبيب ٤٨ والهمع ٢/١٣٤ والدرر ٢/١٨٠ وشرح الأشموني ٢/١٠٥ والهذليين ١/١٩٢ واللسان (أمم) .

(٤٠) البيت مجهول القائل ، وانظر فيه : خزانة الأدب ٤/٤٢١ وأمالي الشجري ٢/٣٣٦ ، والأزهية ١٤١ واللسان (أمم) ، والتوقص : مشي يقارب الخطو ، ودهن : أصلها (دهناء) ولعله من أسماء النساء .

(٤١) آية ١٥ من سورة (يوسف) .

(٤٢) آية ١٠٣ و ١٠٤ من سورة (الصافات) .

(٤٣) آية ٧٣ من سورة (الزمر) .

(٤٤) انظر رأي البصريين في زيادة (الواو) في كتاب (الانصاف في مسائل الخلاف) مسألة (٦٤) وتاريخ النحو وأصوله ـ القسم الأول ٤١١/٤١٢ .

(٤٥) الأزهية ٢٤٥ .

(٤٦) المرجع السابق ٢٤٧ .

(٤٧) آية ٤ من سورة (الحجر) .

(٤٨) آية ٢٠٨ من سورة (الشعراء) .

(٤٩) البيت مجهول القائل ، وقد استشهد به الفراء ولم ينسبه ، وانظر فيه : القصائد السبع ٤٦٧ ، والخزانة ٣/٤٨٧ .

(٥٠) شرح القصائد السبع لابن الانباري ٤٦٧ ، وهذا البيت أنشده الفراء ولم ينسبه لقائل .

(٥١) آية ٨ من سورة (الجمعة) .

(٥٢) آية ٥٣ من سورة (النحل) .

(٥٣) آية ١٦ من سورة (النساء) .

(٥٤) آية ٢٧٤ من سورة (البقرة) .

(٥٥) الأزهية ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

(٥٦) البيت : لنمر بن تولب ، ونسبه بعضهم لحاتم ، وانظر فيه الكتاب ١/٦٧ وأمالي الشجري ١/٤٤ والخزانة ١/١٥٢ والمقتضب ٢/٧٦ .

(٥٧) الأزهية ٢٥٧ .

(٥٨) آية ٩٦ من سورة (يوسف) .

(٥٩) آية ٣٣ من سورة (العنكبوت) .

(٦٠) البيت : مجهول القائل ، وانظر فيه الانصاف في مسائل الخلاف ١/٨٦ .

(٦١) البيت : لكعب بن أرقم اليشكري ، ونسب الى باعث بن مريم اليشكري ، وانظر فيه : شرح الأشموني ١/٢٩٣ وتهذيب النحو ١/٢٨٠ .

(٦٢) البيت : للمسيب بن علس ، وانظر فيه : كتاب سيبويه ١/٤٥٥ وشرح المفصل لابن يعيش ٩/٩٤ والخزانة ٤/٢٢٤ ومغني اللبيب ٣٣ والتصريح ٢٣٣٢ وشرح الأشموني ١/٢٨٦ .

(٦٣) البيت : للنابغة ، وانظر فيه : مجالس ثعلب ٣٦٦ ومغني اللبيب ٢٥ والخزانة ٣/٥٧١ .

(٦٤) البيت : لفروة بن مسيك ، ونسب للكميت : كتاب سيبويه ١/٤٧٥ وسيرة ابن هشام ٩٥٠ والهمع ١/١٢٣ والدرر ١/٩٤ والمنصف ٣/١٢٨ والخزانة ٢/١٢١ والمحتسب ١/٩٢ والمقتضب ١/٥١ .

(٦٥) البيت : مجهول القائل ، انظر : الخزانة ٢/١٢٤ ومجالس ثعلب ٨٠٩ وشرح الأشموني ١/٢٤٧ .

(٦٦) انظر شرح الأشموني ١/٢٢٢ وتهذيب النحو ٢٤٧ .

(٦٧) البيت : لجابر بن رألان الطائي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٦٨) **البيت** : للمعلوط القريعي ، وانظر فيه : شرح الأشموني ١/ ٢٣٤ وتهذيب النحو ١/ ٢١٠ ، والدرر ١/ ٩٧ وكتاب سيبويه ٢/ ٣٠٦ والمغني ١/ ٢٤ وأوضح المسالك ش ٨٧ .

(٦٩) **البيت** : مجهول القائل وانظر فيه المغني ٢٥ والهمع ١/ ١٢٤ والدرر ١/ ٩٧ ومعجم النحو ٦٧ .

(٧٠) آية ٣ من سورة (ص) .

(٧١) تهذيب النحو ١/ ٢٢٨ وشرح الأشموني ١/ ٢٥٥ ـ ٢٥٧ .

(٧٢) **البيت** : لمحمد بن عيسى التميمي ، ونسبه بعضهم الى المهلهل بن مالك الكناني ، وانظر فيه : الخزانة ٢/ ١٧٤ وشذور الذهب ٢٠٠ وشرح شواهد العيني ٢/ ١٢٦ والهمع ١/ ١٦٦ والدرر ١/ ٩٩ وشرح الأشموني ١/ ٢٥٦ .

(٧٣) المبدع لأبي حيان ١٣٤ والأزهية ٢٧١ .

(٧٤) آية ١ و ٢ من سورة (القيامة) .

(٧٥) آية ١٦ من سورة (الانشقاق) .

(٧٦) آية ١ من سورة (البلد) .

(٧٧) آية ٤٠ من سورة (المعارج) .

(٧٨) الأزهية ١٦٢ ـ ١٦٣ وتفسير الجلالين في هذه الآيات في أماكنها من سورها .

(٧٩) الأزهية ١٦٣ .

(٨٠) آية ٧ من (فاتحة الكتاب) ، وانظر أيضا تفسير الجلالين .

(٨١) آية ٩٠ من سورة (الأنعام) .

(٨٢) آية ٢٥٩ من سورة (البقرة) .

(٨٣) آية ١٠ من سورة (القارعة) .

(٨٤) آية ١٩ من سورة (الحاقة) .

(٨٥) آية ٢٠ من سورة (الحاقة) .

(٨٦) آية ٢٧ من سورة (الحاقة) .

(٨٧) آية ٢٨ من سورة (الحاقة) .

(٨٨) آية ٢٩ من سورة (الحاقة) .

(٨٩) الأزهية ٢٦٦ .

(٩٠) المرجع السابق ٢٦٥ .

(٩١) **البيت** : رجز لرؤبة ، وانظر فيه : شرح الأشموني ١/ ٢٨٠ وتهذيب النحو ١/ ٢٦٤ وشرح المفصل ٣/ ١٣٠ والخزانة ٤/ ٣٢٨ وشرح شواهد العيني ١/ ٥٣٤ والهمع ١/ ٤٠ والدرر ١/ ١١٧ واللسان (شهرب) .

(٩٢) **البيت** : مجهول القائل ، وانظر فيه شرح الأشموني ١/ ٢٨٠ ومعجم النحو ٣٠٤ والانصاف ٢٠٩ ، وشرح المفصل ٨/ ٦٢ والخزانة ٤/ ٣٤٣ والهمع ١/ ١٤٠ والدرر ١/ ١١٦ والتصريح ١/ ١١٢ .

(٩٣) آية ٢٠ من سورة (الفرقان) ، والقراءة المشهورة (إلا إنهم) بكسر الهمزة .

(٩٤) آية ١٤٣ من سورة (البقرة) .

(٩٥) **البيت** : منسوب الى أم عقيل بن أبي طالب وهي ترقصه وذكر الاستاذ عبدالسلام هارون في معجم الشواهد أن اسمها (فاطمة بنت أسد) ، وانظر في البيت : شرح الأشموني ١/ ٢٤١ وتهذيب النحو ١/ ٢١٤ وشرح شواهد العيني ٢/ ٣٩ والهمع ١/ ١٢٠ والدرر ١/ ٨٩ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٩٦) **البيت** : مجهول القائل ، وانظر فيه : شرح الأشموني ١ / ٢٤٠ وتهذيب النحو ١ / ٢١٥ .

(٩٧) **البيت** : للفرزدق ، وانظر فيه : شرح الأشموني ١ / ٢٤٠ وتهذيب النحو ١ / ٢١٥ والخزانة ٤ / ٣٥ وديوان الفرزدق ٨٥٠ .

(٩٨) **البيت** : مجهول القائل ، وانظر فيه شرح الأشموني ١ / ٢٤٠ .

(٩٩) **البيت** : أنشده الفراء ، ولم ينسبه الى قائل ، وانظر فيه : شرح الأشموني ١ / ٢٤١ وتهذيب النحو ١ / ٢١٦ والمفصل ٧ / ٩٨ والخزانة ٤ / ٣٣ وشرح شواهد العيني ٢ / ٤١ والهمع ١ / ١٢٠ والدرر ١ / ٨٩ وحاشية (يس) ١ / ١٩١ والتصريح ١ / ١٩٢ .

(١٠٠) شرح الأشموني ١ / ٢٤١ .

(١٠١) **البيت** : مجهول القائل وانظر فيه : شرح الأشموني ١ / ٢٤١ والدرر ١ / ٩٠ والهمع ١ / ١٢٠ .

(١٠٢) **البيت** : مجهول القائل ، وانظر فبه : شرح الأشموني ١ / ٢٤٢ والهمع ١ / ١٢٠ والدرر ١ / ٩٠ .

(١٠٣) شرح الأشموني ١ / ٢٤١ - ٢٤٢ .

(١٠٤) لسان العرب : مادة (إذذ) .

(١٠٥) آية ٣٠ من سورة (البقرة) .

(١٠٦) آية ٣٤ من سورة (البقرة) .

(١٠٧) آية ١١٠ من سورة (المائدة) .

(١٠٨) لسان العرب : مادة (إذذ) .

(١٠٩) **البيت** : لعبد مناف الهذلي ، وهو شاعر جاهلي ، وانظر فيه : أمالي الشجري ١ / ٣٨٥ وأديب الكاتب ٣٣٣ والخزانة ٣ / ١٧٠ ولسان العرب (جمل) وديوان الهذليين ٢ / ٤٢ والانصاف ٤٦١ .

(١١٠) الأزهية ٢١٢ .

(١١١) الانصاف ٤٦١ .

(١١٢) المرجع السابق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مراجع البحث

أولا : القرآن الكريم

ثانيا :

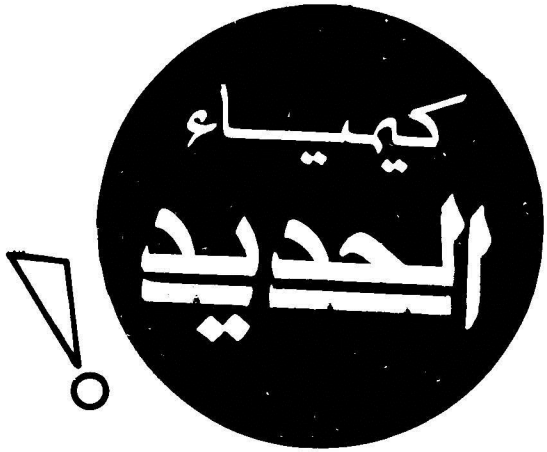
١ ــ أدب الكاتب ـ لابن قتيبة ـ تحقيق محيي الدين ـ ط السعادة ١٣٨٢هـ ـ القاهرة .

٢ ــ الأزهية في علم الحروف ـ للهروي ـ ط ـ دمشق ١٩٧١هـ .

٣ ــ أمالي ابن الشجري ـ ط : حيدر أباد ١٣٤٩هـ .
٤ ــ أمالي المرتضي ـ تحقيق : أبو الفضل ابراهيم ـ ط الحلبي ١٣٧٣ هـ القاهرة .
٥ ــ املاء ما من به الرحمن ـ للعكبرى ـ ط الحلبي ـ القاهرة .
٦ ــ الانصاف ـ لابن الأنباري ـ تحقيق محيي الدين ـ ط السعادة ١٣٧٢هـ القاهرة .
٧ ــ أوضح المسالك ـ لابن هشام ـ تحقيق محيي الدين ـ دار احياء التراث ـ القاهرة .
٨ ــ البيان في غريب اعراب القرآن ـ لابن الأنباري ـ تحقيق طه عبدالحميد ـ د . الكاتب العربي ـ ١٩٦٩م القاهرة .
٩ ــ تاريخ النحو وأصوله . د . عبدالحميد طلب ـ مكتبة الشباب ـ المنيرة ـ القاهرة .
١٠ ــ التصريح بمضمون التوضيح ـ للشيخ خالد ـ م الأزهرية ١٣٤٤هـ القاهرة .
١١ ــ تفسير الجلالين ـ ط دار التراث ـ القاهرة ١٩٧٧م .
١٢ ــ تهذيب اللغة ـ للأزهري ـ المؤسسة المصرية ١٣٨٤هـ القاهرة .
١٣ ــ تهذيب النحو ـ د . عبدالحميد طلب ـ مكتبة الشباب ١٩٧٥م القاهرة .
١٤ ــ حاشية (يس) على التصريح ـ م الأزهرية ١٣٤٤هـ .
١٥ ــ خزانة الأدب ـ للبغدادي ـ بولاق ١٢٩٩هـ القاهرة .
١٦ ــ الدرر اللوامع ـ للشنقيطي ـ م . كروستان بالجمالية ١٣٢٨هـ القاهرة .
١٧ ــ ديوان الفرزدق ـ ط : الصاوي ١٣٥٤هـ القاهرة .
١٨ ــ ديوان الهذليين ـ دار الكتب ١٣٦٩هـ ـ القاهرة .
١٩ ــ شذور الذهب ـ لابن هشام محيي الدين ـ القاهرة .
٢٠ ــ شرح الأشموني ـ دار احياء الكتب العربية ـ الحلبي ـ بدون تاريخ .
٢١ ــ شرح شواهد العيني ـ بهامش خزانة الأدب ـ ط بولاق ١٢٩٩هـ القاهرة .
٢٢ ــ شرح القصائد السبع ـ للزوزني ـ ط السعادة ١٣٤٠هـ ـ القاهرة .

٢٣ ــ شرح المفصل ـ لابن يعيش ـ ط محمد منير ١٩٢٨م القاهرة .
٢٤ ــ السيرة ـ لابن هشام ـ ت وستنفلد ـ ١٨٥٩م .
٢٥ ــ الصحاح ـ للجوهري ـ ط بولاق ١٢٨٢هـ .
٢٦ ــ الكامل للمبرد ت وليم رايت ـ ليبسج ١٨٦٤م .
٢٧ ــ كتاب سيبويه ت هرتج ـ باريس ١٨٨١م وط بولاق ١٣١٨هـ القاهرة .
٢٨ ــ كتاب سيبويه ت عبدالسلام هارون ـ دار القلم ١٣٨٥ هـ دار الكتاب العربي ١٣٨٨هـ القاهرة .
٢٩ ــ الكشاف ـ للزمخشري .
٣٠ ــ اللسان ـ لابن منظور ط : الدار المصرية للتأليف ـ بدون تاريخ .
٣١ ــ المبدع ـ لأبي حيان ـ تحقيق د . عبدالحميد طلب ـ دار العروبة ١٩٨٢م الكويت .
٣٢ ــ مجالس ثعلب ـ ت عبدالسلام هارون ـ دار المعارف ـ ١٣٦٩هـ القاهرة .
٣٣ ــ المحتسب ـ لابن جني تحقيق علي النجدي ـ الدار القومية ـ القاهرة .
٣٤ ــ معجم شواهد العربية ـ للاستاذ عبدالسلام هارون ـ الخانجي ١٩٧٢م القاهرة .
٣٥ ــ معجم النحو ـ عبدالغني الدقر ـ محمد هاشم الكتبي ـ ١٩٧٥م دمشق .
٣٦ ــ مغني اللبيب ـ لابن هشام ت محيي الدين ـ المدني ١٣٨٧هـ القاهرة .
٣٧ ــ المقتضب ـ للمبرد ـ عبدالخالق عضيمة ـ الشئون الاسلامية ١٣٨٨هـ القاهرة .
٣٨ ــ المنصف ـ لابن جني ـ ت ابراهيم مصطفى ـ الحلبي ١٣٧٩هـ القاهرة .
٣٩ ــ الهمع ـ للسيوطي ـ تصحيح النعساني ـ ط السعادة ١٣٢٧هـ القاهرة .
٤٠ ــ الهمع ـ للسيوطي ـ ت عبدالعال سالم ط البحوث العلمية ـ ١٩٧٧ ـ ١٩٨٠م الكويت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



قصة
محمد العجمي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الضوء أحمر ، تقف ، تلتفت حولك ، سيارات تقف بين لحظة وأخرى ، يدك على زر المذياع ، تديره ، برنامج اسبوعي تفضله ولكنك لا تحرص عليه .

الأبواق المنفرة ترغمك على التحرك ، تسير ببطء ، مستمتعا ببرنامجك المفضل .

صوت المذيعة يصلك .

ـ هل تعلم . .

ينقطع الصوت على أنهار موسيقى انتقالية قصيرة ، يعود صوتها من جديد .

ـ هل تعلم عزيزي المستمع ان مساحة القارة القطبية الجنوبية أكبر من مساحة قارة استراليا .

موسيقى قصيرة .

ـ وهل تعلم عزيزي المستمع ـ ان أكثر الدول استيرادا للحديد هي دول العالم الثالث وانها ـ عزيزي المستمع ـ تزداد استيرادا له عاما بعد عام . . وقد بلغ استيرادها منه لهذا العام (. . .) طنا .

موسيقى قصيرة .

يعود صوتها من جديد ولكنك

تنفصل ، تسأل ذاتك :

ـ دول العالم الثالث أكثر استيرادا للحديد ؟! أين المصانع التي تستلزم هذه الكمية الهائلة ..

أشك في ذلك !

ماذا تفعل هذه الدول ، بتلك الكمية الهائلة من الحديد ؟!

وصولك الى منزلك يقطع عليك حبل أفكارك ، توقف السيارة وتنزل .

* * *

تقلب أوراق صحيفتك اليومية قبل أن تنام ، ويلفت نظرك الخبر الذي سمعته قبل سويعات منشورا ، تقرأه تمر في ذهنك صور كثيرة لاستخدامات الحديد ولكنها جميعا ، لم تكن مقنعة ـ في نظرك ـ الى استيراد هذه الكمية من الحديد .

تضع الجريدة جانبا ، تستلقي على ظهرك وتنام .

* * *

زميلك وانت تسيران وحدكما ، تجمع المارة بشكل غريب ، يلفت نظركما ، تقتربان ، مشاجرة ، تقتحمان الجموع لتفريقها ، في نفس اللحظة يطوق رجال الأمن المتشاجرين وتحشران معهم .

يسألك المحقق :

ـ . . .

ـ عبد الكريم

ـ . .

ـ نعم

ـ . . .

ـ ولدان وبنت

ـ . . .

ـ ثلاثة وثلاثون

ـ . . .

ـ لتفريق المتشاجرين

ويصرخ :

ـ لم تقل الحقيقة

وبعنف :

ـ أنت لا تريد أن تسمعها

وبعنف أكبر ، يضرب الطاولة بيده . .

اخرس

يده على الجرس ، ويدخل رجلان . .

يصرخ بهما :

ـ خذوه و . . أكرموه .

ينتزعك الرجلان من مكانك ، ويرميان بك في زنزانة ، تجد صاحبك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أمامك ، لم يبتسم لك ولم تكن بحاجة الى ذلك .

عاد الرجلان ـ بعد قليل ، يحملان معهما سلاسل غليظة طويلة ، يربطون أيديكم وأرجلكم ويثبتونهم بكرات حديدية .

يذهبان ويغلقان باب الزنزانة خلفهما .

* * *

تنظر الى صاحبك ، تحاول أن تتحرك ولكنك لم تستطع ، تحاول مرة أخرى ، يصلك صوت صاحبك .

ـ لن تستطيع قطعها . . انها من الحديد الغليظ .

ـ ماذا قلت ؟

ـ انها من الحديد وليس من البلاستيك .

وبفرح واستغراب :

ـ وبماذا يستخدم الحديد أيضا ؟

يجيبك :

ـ يستخدم الحديد في صناعة السكاكين الحادة .

ـ فقط ؟

ـ وأدوات القمع . . وأخمص البنادق ومسامير الأحذية الثقيلة . . وكذلك المقاصل ، والزنزانات الحديدية .

يصرخ فيك أحدهم من خلف القضبان :

ـ ماذا تفعل يا . .

يمد اليك بندقيته ، يطلق رصاصة ، تخطئك ، جديته تخرجك عن صمتك ، ترفع يديك وتصرخ :

ـ لا . لا

تنهض ، وحدك في غرفة نومك ، لم تصدق انك تحلم ، تهدأ أنفاسك ، تبحلق في الغرفة ، تسترجع ذاكرتك ، تتذكر الحلم بكل وضوح ، عيناك على صحيفتك اليومية ، تتذكر السؤال وحديث صاحبك وتفهم !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحلقة الحادية عشرة

٩٤ ــ من آداب الطعام : ـ

جاء في (البيان والتبيين) تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون . قال حاتم الطائي : ـ

وإني لأَسْتَحْيي حياءً يسرّني إذا اللؤمُ من بعض الرجال تطلّعا
إذا كان أصحابُ الإناءِ ثلاثةً حييًّا ومستحيًا وكلبًا مُجَشَّعا (١)

فـإني لأَسْتـحي أكـيـلَ أنْ يـرى مكـانَ يدي من جـانب الزاد أقـرعـا
أكُفُّ يـدي مـن أن تمس أكُـفَّـهـم إذا نحن أهـوَينـا وحـاجتُنـا معـا
وإنـك مهـما تُعطِ بـطنـك سُؤلَـه وفـرجَـك نـالا منتهى الـذمِّ أجمعـا

٩٥ ــ إعراب شاهدٍ من شواهد ابن عقيل : ـ

يا ناقُ سيرى عَنَقًا فسيحا* إلى سليمانَ فنستريحا

قال الجرجاوي رحمه الله في كتابه (شرح شواهد ابن عقيل) :

قالهأبو النجم العجلي : (قوله يا ناق) يا حرف نداء ، وناق منادى مبني على الضم على التاء المحذوفة للترخيم في محل نصب على لغة من ينتظرها إذ أصله يا ناقة ، أو مبني على الضم على القاف في محل نصب على لغة من لا ينتظرها . والناقة هي الأنثى من الابل ، وسيرى فعل أمر مبني على حذف النون نيابة عن السكون والياء فاعله وهو من سار يسير سيرا ومسيرا سواء كان بالليل أو النهار بخلاف سرى وأسرى فيختصان بالليل وسار يستعمل لازما فيقال سار البعير ومتعديا فيقال المكان الصعب سرته أي جاوزته . وعنقا بفتحتين منصوب على النيابة عن المصدر إذ الأصل سيرى سير عنق فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه أو على أنه صفة لموصوف محذوف أي سيرى سيرا عنقا وهو ضرب من السير سريع ، وفسيحا أي سريعا حينئذ وصف كاشف له وإلى حرف جر ، وسليمان مجرور بها وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون أو والعجمة . وفنستريحا الفاء للسببية واقعة في جواب الأمر وهي حرف عاطف ونستريحا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد فاء السببية وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره نحن وألفه للاطلاق وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصر متصيد من الفعل السابق أي ليكن منك سير فاستراحة منا (يعني) يا ناقة سيري سيرا سريعا قويا إلى سليمان وجدي في ذلك لأنه ان حصل منك ما ذكر تسبب عنه الراحة لنا ولك (والشاهد) في قوله فنستر يحا حيث نصبه بأن مضمرة وجوباً لوقوعه مقرونا بالفاء في جواب الأمر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٩٦ ـ مصحف عثمان في مسجد قرطبة ومآله : ـ

هذه قصة طريفة رواها (المقري) رحمه الله عن واحد من مصاحف عثمان الأربعة التي بعثها في الآفاق لتكون للناس إماما ، ولعل هذا المصحف الذي يتحدث عنه (المقري) واحد من هذه المصاحف الأربعة . لربما نقله الأمويون معهم إلى الأندلس ، وقد بقي هناك متداولا معروفا ، إلى أن آل أمره إلى (بني مَرِينَ) .

ولقد ذكر (المقري) شأن هذا المصحف في الجزء الأول من كتابه الجليل (نفح الطيب) ثلاث مرات ، نقتبسها هنا في هذا المقتبس . ففيها كثير من طرائف لا تحصى وفوائد . قال المقري : ـ

وكان بالجامع المذكور (جامع قرطبة) في بيتِ منبرِه مصحفُ أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الذي خطه بيده ، وعليه حلية ذهب مكللة بالدر والياقوت وعليه أغشية الديباج ، وهو على كرسي من العود الرطب بمسامير الذهب .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وذكر (ابن بشكوال) مصحف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه الذي كان في جامع قرطبة وصار إلى بني عبد المؤمن فقال : هو مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، مما خطه بيمينه ، وله عند أهل الأندلس شأن عظيم ، انتهى . وسنذكر فيه زيادة على هذا .

وعاد (المقري) رحمه الله إلى مآل مصحف عثمان رضي الله عنه كما ذكر فقال في موضع آخر من الجزء الأول : ـ

وكان كما تقدم بقرطبة المصحف العثماني ، وهو متداول بين أهل الأندلس ، قالوا : ثم آل أمره إلى الموحدين ، ثم إلى بني مَرِين ، قال الخطيب بن مرزوق في كتابه « المسند الصحيح الحسن » ما ملخصه:كان السلطان أبو الحسن لايسافر موضعا إلا ومعه المصحف الكريم العثماني ، وله عند أهل الأندلس شأن عظيم ،

ومقام كبير ، وكيف لا ؟ قال ابن بَشْكُوال : أخرج هذا المصحف منها ـ أي قرطبة ـ وَغُرِّبَ منها وكان بجامعها الأعظم ، ليلة السبت حادي عشر شوال سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة في أيام أبي محمد عبد المؤمن بن علي وبأمره ، وهذا أحد المصاحف الأربعة التي بعث بها عثمان رضي الله تعالى عنه إلى الأمصار : مكة ، والبصرة ، والكوفة ، والشام ، وما قيل إن فيه دم عثمان هو بعيد ، وإن يكن أحدها فلعله الشامي قاله ابن عبد الملك .

قال أبو القاسم التجيبي السبتي : أما الشامي فهو باق بمقصورة جامع بني أمية بدمشق المحروسة ، وعاينته هناك سنة ٦٥٧ ، كما عاينت المكي بقبة اليهودية ، وهي قبة التراب ، قلت (أي ابن مرزوق) عاينتها مع الذي بالمدينة سنة ٧٣٥ وقرأت فيهما ، قال النخعي : لعله الكوفي أو البصري ، وأقول : اختبرت الذي بالمدينة والذي نقل من الأندلس فألفيت خطهما سواء ، وما توهموه أنه خطه بيمينه فليس بصحيح ، فلم يخط عثمان واحدا منها ، وإنما جمع عليها بعضا من الصحابة كما هو مكتوب على ظهر المدني ، ونص ما على ظهره : هذا ما أجمع عليه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاصي ، وذكر العدد الذي جمعه عثمان رضي الله تعالى عنه من الصحابة رضي الله تعالى عنهم على كَتْب المصحف ، انتهى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واعتنى به عبد المؤمن بن علي ولم يزل الموحدون يحملونه في أسفارهم متبركين به ، إلى أن حمله المعتضد ، وهو السعيد علي بن المأمون أبي العلاء إدريس بن المنصور ، حين توجه لتلمسان آخر سنة ٦٤٥ ، فقتل قريبا من تلمسان ، وقدم ابنه إبراهيم ثم قتل ، ووقع النهب في الخزائن ، واستولت العرب وغيرهم على معظم العسكر ، ونهب المصحف ولم يعلم مستقره ، وقيل : إنه في خزانة ملوك تلمسان ، قلت : لم يزل هذا المصحف في الخزانة إلى أن افتتحها إمامنا أبو الحسن أواخر شهر رمضان سنة ٧٣٧ ، فظفر به وحصل عنده إلى أن أصيب في وقعة طريف ، وحصل في بلاد برتقال ، وأعمل الحيلة في استخلاصه ، ووصل إلى فاس سنة ٧٤٥ على يد

أحد تجار أُزْمُور (بلد بالمغرب) واستمر بقاؤه في الخزانة ، انتهى باختصار .

واعتنى به ملوك الموحدين غاية الاعتناء ، كما ذكره ابن رشيد في رحلته ، ولا بأس أن أذكر كلامه بجملته ، والرسالة في شأن المصحف لما فيها من الفائدة ، ونص محل الحاجة منه : أنشدني الخطيب أبو محمد بن برطَلَةَ من لفظه وكتبته من خطه ، قال : أنشدني الشيخ الفقيه القاضي أبو القاسم عبد الرحمن بن كاتب الخلافة أبي عبدالله بن عياش لأبيه رحمهم الله تعالى مما نظمه ، وقد أمر أمير المؤمنين المنصور بتحلية المصحف : .

ونُفِّلْتَهُ من كل ملك ذخيرة ... كأنهمُ كانوا بِرَسْم مكاسبه
فإن ورث الأملاك شرقا ومغربا ... فكم قد أخَلّوا جاهلين بواجبه

وكيف يفوتُ النصرُ جيشًا جعلته ... أمام قَنَاه في الوغى وقَواضِبِهْ
وألبسته الياقوت والدُّرَّ حِلْيَة ... وغيرك قد رواه من دم صاحبه[٢]

وعلى ذكر هذا المصحف الكريم فلنذكر كيفية الأمر في وصوله إلى الخليفة أمير المؤمنين عبد المؤمن ، وما أبدئ في ذلك من الأمور الغريبة التي لم يسمع بمثلها في سالف الدهر ، حسبما أطرفنا به الوزير الأجل أبو زكريا يحيى بن أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الملك بن طُفَيْل القيسي حفظه الله تعالى وشكره ، مما استفاده وأفاده لنا مما لم نسمع به قبل ، عن كتاب جده الوزير أبي بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل المذكور ، مما تضمنه من وصف قصة المصحف ، فقال : وصل إليهم أدام الله سبحانه تأييدهم قمرا الأندلس النيران ، وأميراها المتخيران ، السيدان الأجلان أبو سعيد وأبو يعقوب أيدهما الله ، وفي صحبتهما مصحف عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، وهو الامام الذي لم يختلف فيه مختلف ، ومازال ينقله خلف عن سلف ، وقد حفظ شخصه على كثرة المتناولين ، وَذَخَرَهُ الله لخليفته المخصوص بمن سخر لخدمته من المتداولين ، وله من غرائب الأنباء ومتقدم الإشعار بما آل إليه أمره من الإيماء ما ملئت به الطروس ، وتحفظه من أهل الأندلس الرائس والمرؤوس فتلقى عند وصوله بالإجلال والإعظام ، وبودر إليه بما يجب من التبجيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والإكرام ، وعكف عليه أطول العكوف والتزم أشد الالتزام ، وكان في وصوله ذلك الوقت من عظيم العناية وباهر الكرامة ما هو معتبر لأولى الألباب ، وبلاغ في الإغراب والاعجاب وذلك أن سيدنا ومولانا الخليفة أمير المؤمنين ؛ أدام الله له عوائد النصر والتمكين ، كان قبل ذلك بأيام قد جرى ذكره في خاطره الكريم ، وحركته إليه دواعي خلقه العظيم ، وتراءى مع نفسه المطمئنة المرضية ، وسجاياه الحسنة الرضية ، في معنى اجتلابه من مدينة قرطبة محل مثواه القديم ، ووطنه الموصَّل بحرمته للتقديم فتوقع أن يتأذى أهل ذلك القطر بفراقه ، ويستوحشوا لفقدان إضاءته في أفقهم وإشراقه ، فتوقف عن ذلك لما جبل عليه من رحمته وإشفاقه ، فأوصله الله إليه تحفة سنية ، وهدية هنية ، وتحية من عنده مباركة زكية ، دون أن يكدرها من البشر اكتساب ، أو يتقدمها استدعاء أو اجتلاب ، بل أوقع الله سبحانه وتعالى في نفوس أهل ذلك القطر من الفرح بإرساله إلى مستحقه ، والتبرع به إلى القائم إلى الله تعالى بحقه ، ما اطلع بالمشاهدة والتواتر على صحته وصدقه ، وعضدت مخايل برقه سواكبُ وَدقه ، وكان ذلك من كرامات سيدنا ومولانا الخليفة معدودا ، وإلى أمره الذي هو أمر الله مردودا وجمع عند ذلك بحضرة مراكش ـ حرسها الله تعالى ـ سائر الأبناء الكرام ، والسادة الأعلام ، بدور الآفاق ، وكواكب الإشراق ، وأهل الاستئهال للمقامات الرفيعة وذوو الاستحقاق .

ثم إنهم أدام الله سبحانه تأييدهم ، ووصل سعودهم ، لما أرادوا من المبالغة في تعظيم المصحف المذكور ، واستخدام البواطن والظواهر فيما يجب له من التوقير والتعزيز ، شرعوا في انتخاب كسوته ، وأخذوا في اختيار حليته ، وتأنقوا في استعمال أحفظته ، وبالغوا في استجادة أصْونته ، فحشروا له الصناع المتقنين والمهرة المتفننين ، ممن كان بحضرتهم العلية ، أو سائر بلادهم القريبة والقصية ، فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ، ومهرة كل طائفة من المهندسين والصواغين والنظّامين والحلائين[٣] والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقين والرسامين

والمجلدين وعرفاء البنائين ، ولم يبق من يوصف ببراعة أو ينسب إلى الحذق في صناعة ، إلا أحضر للعمل فيه والاشتغال بمعنى من معانيه ، فاشتغل أهل الحيل الهندسية بعمل أمثلة مخترعة ، وأشكال مبتدعة ، وضمنوها من غرائب الحركات ، وخفي إمداد الأسباب للمسببات ، ما بلغوا فيه منتهى طاقتهم ، واستفرغوا فيه جهد قوتهم ، والهمة العلية أدام الله سموها تترقى فوق معارجهم ، وتتخلص كالشهاب الثاقب وراء موالجهم ، وتنيف على ما ظنوه الغاية القصوى من لطيف مدارجهم ، فسلكوا من عمل هذه الأمثلة كل شعب ورأبوا من منتشرها كل شعب ، وأشرفوا عن تحقيقها وإبراز دقيقها على كل صعب ، فكانت منهم وقفة كادت لها النفس تيأس عند مطلبها ، والخواطر تكر راجعة عن خفي مذهبها ، حتى أطلع الله خليفته في خلقه ، وأمينه المرتضى لإقامة حقه ، على وجه انقادت فيه تلك الحركات بعد اعتياصها ، وتخلصت أشكالها عن الاعتراض على أحسن وجوه خلاصها ، ألقوا ذلك ـ أيدهم الله بنصره ، وأمدهم بمعونته ويسره ـ إلى المهندسين والصناع فقبلوه أحسن القبول ، وتصوروه بأذهانهم فرأوه على مطابقة المأمول ، فَوَقَفَهم حسنُ تنبيهه مما جهلوه على طور غريب من موجبات التعظيم ، وعلموا أن الفضل لله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ـ وسيأتي بعد هذا إشارة إلى تفصيل تلك الحركات المستغرَبة والأشكال المُونِقة المعجبة ، إن شاء الله تعالى ـ مما صنع للمصحف العظيم من الأصونة الغريبة ، والأحفظة العجيبة ، أنه كسي كله بصوان واحد من الذهب والفضة ذي صنائع غريبة من ظاهره وباطنه ، لايشبه بعضها بعضا ، قد أجري فيه من ألوان الزجاج الرومي ما لم يعهد له في العصر الأول مثال ، ولا عمر قبله بشبهة خاطر ولا بال ، وله مفاصل تجتمع إليها أجزاؤه وتلتئم ، وتتناسق عندها عجائبه وتنتظم ، قد أسلست للتحرك أعطافها ، وأحكم إنشاؤها على البغية وانعطافها ، ونظم على صفحته وجوانبه من فاخر الياقوت ونفيس الدر وعظيم الزمرد ما لم تزل الملوك السالفة والقرون الخالية تتنافس في أفراده ، وتثوارثه على مرور الزمن وترداده ، وتظن العز الأقعس ، والملك الأنفس ، في ادخاره وإعداده ، وتسمي الواحد منها بعد الواحد بالاسم العلم

لشذوذه في صنفه واتحاده فانتظم عليه منها ما شاكله زهر الكواكب في تلألؤه واتقاده وأشبهه الروض المزخرف غبَّ سماء أقلعت عن إمداده ، وأتى هذا الصِّوانُ الموصوف رائقَ المنظر ، آخذا بمجامع القلب والبصر ، مستوليا بصورته الغريبة على جميع الصور ، يدهش العقول بهاء ، ويحير الألباب رواء ، ويكاد يعشى الناظر تألقا وضياء ، فحين تمت خصاله ، واستركبت أوصاله ، وحان ارتباطه بالمصحف العظيم واتصاله رأوْا ـ أدام الله تأييدهم ، وأعلى كلمتهم ـ مما رزقهم الله تعالى من ملاحظة الجهات ، والإشراف على جميع الثنيات ، أن يتلطف في وجه يكون به هذا الصوان المذكور طورا متصلا ، وطورا منفصلا ، ويتأتى به للمصحف الشريف العظيم أن يبرز تارة للخصوص مبتذلا ، وتارة للعموم متجملا ، إذ معارج الناس في الاستبصار تختلف ، وكل له مقام إليه ينتهي وعنده يقف فعمل فيه على شاكلة هذا المقصد ، وتلطف في تتميم هذا الغرض المعتمد وكسي المصحف العزيز بصوان لطيف من السندس الأخضر ، ذي حلية خفيفة تلازمه في المغيب والمحضر ، ورتب ترتيبا يتأتى معه أن يكسى بالصّوان الأكبر ، فيلتئم به التئاما يغطي على العين من هذا الأثر ، وكمل ذلك كله على أجمل الصفات وأحسنها ، وأبدع المذاهب وأتقنها ، وصنع له محمل غريب الصنعة ، بديع الشكل والصيغة ، ذو مفاصل ينبو عن دقتها الإدراك ويشتد بها الارتباط بين المفصلين ويصح الاشتراك ، مُغَشًّى كله بضروب من الترصيع ، وفنون من النقش البديع ، في قطع من الآبنوس والخشب الرفيع ، لم تعمل قط في زمان من الأزمان ، ولا انتهت قط إلى أيسره نوافذ الأذهان ، مدار بصنعة قد أجريت في صفائح الذهب ، وامتدت امتداد ذوائب الشهب ، وصنع لذلك المحمل كرسي يحمله عند الانتقال ، ويشاركه في أكثر الأحوال ، مرصع مثل ترصيعه الغريب ، ومشاكل له في جودة التقسيم وحسن الترتيب ، وصنع لذلك كله تابوت يحتوي عليه احتواء المشكاة على أنوارها ، والصدور على محفوظ أفكارها ، مكعب الشكل سام في الطول ، حسن الجملة والتفصيل ، بالغ ما شاء من التتميم في أوصاله والتكميل ، جار مجرى المحمل في التزيين والتجميل ، وله في أحد غواربه باب ركبت عليه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دفتان قد أحكم إرتاجهما ويسر بعد الابهام انفراجهما ، ولانفتاح هذا الباب وخروج هذا الكرسي من تلقائه وتركب المحمل عليه ، ما دبرت الحركات الهندسية ، وتلقيت تلك التنبيهات القدسية ، وانتظمت العجائب المعنوية والحسية ، والتأمت الذخائر النفيسة والنفسية ، وذلك أن بأسفل هاتين الدفتين فيصلا فيه موضع قد أعد له مفتاح لطيف يدخل فيه فإذا أدخل ذلك المفتاح فيه وأديرت به اليد انفتح الباب بانعطاف الدفتين إلى داخل الدفتين من تلقائهما ، وخرج الكرسي من ذاته بما عليه إلى أقصى غايته ، وفي خلال خروج الكرسي يتحرك عليه المحمل حركة منتظمة مقترنة بحركته يأتي بها من مؤخر الكرسي زحفا إلى مقدمه ، فإذا كمل الكرسي بالخروج وكمل المحمل بالتقدم عليه انغلق الباب برجوع الدفتين إلى موضعهما من تلقائهما دون أن يمسهما أحد ، وترتبت هذه الحركات الأربع على حركة المفتاح فقط دون تكلف شيء آخر ، فإذا أدير المفتاح إلى خلف الجهة التي أدير إليها أولا انفتح الباب وأخذ الكرسي في الدخول والمحمل في التأخر عن مقدم الكرسي إلى مؤخره ، فإذا عاد كل إلى مكانه انسد الباب بالدفتين أيضا من تلقائه ، كل ذلك يترتب على حركة المفتاح ، كالذي كان في حال خروجه وصحت هذه الحركات اللطيفة على أسباب ومسببات غائبة عن الحس في باطن الكرسي ، وهي مما يدق وصفها ، ويصعب ذكرها ، أظهرتها بركات هذا الأمر السعيد ، وتنبيهات سيدنا ومولانا الخليفة ، أدام الله تعالى أمرهم وأعز نصرهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي خلال الاشتغال بهذه الأعمال التي هي غرر الدهر ، وفرائد العمر ، أمروا ـ أدام الله تعالى تأييدهم ـ ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش ـ حرسها الله تعالى ـ فبدىء ببنيانه وتأسيس قبلته في العشر الأول من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، وكمل منتصف شعبان المكرم من العام المذكور ، على أكمل الوجوه ، وأغرب الصنائع ، وأفسح المساحة ، وأبعد البناء والنجارة ، وفيه من شمسيات الزجاج وحركات المنبر والمقصورة ما لو عمل في السنين العديدة لاستغرب تمامه ، فكيف في هذا الأمر اليسير الذي لم يتخيل أحد من الصناع أن يتم فيه فضلا عن بنائه ؟ وصليت فيه صلاة الجمعة منتصف شعبان المذكور ، ونهضوا

ـ أدام الله سبحانه تأييدهم ـ عقب ذلك لزيارة البقعة المكرمة ، والروضة المعظمة ، بمدينة تينملل أدام الله رفعتها ، فأقاموا بها بقية شعبان المكرم ، وأكثر شهر رمضان المعظم ، وحملوا في صحبتهم المصحف العزيز ومعه مصحف الامام المهدي المعلوم رضي الله تعالى عنه في التابوت الموصوف ، إذ كان قد صنع له غرفة في أعلاه ، وأحكمت فيه إحكاما كمل به معناه ، واجتمع في مشكاته فعاد النور إلى مبتداه ، وختم القرآن العزيز في مسجد الامام المعلوم ختمات كادت لا تحصى لكثرتها ، وهنا انتهى ماوجدناه من هذا المكتوب .

ثم قال ابن رُشَيْد ـ بعد إيراد ما تقدم ـ ما صورته : نجزت الرسالة في المصحف العظيم ، والحمد لله رب العالمين ، انتهى محل الحاجةمنه .

٩٧ ـ عزّة : ـ

قال كثير عزة : ـ

بأبي وأمّي أنتِ من مظلومةٍ طَبِنَ العدو لها فغير حالها[٤]
لو أن عزة خاصمت شمس الضحى في الحسن عندَ موفّقٍ لقضى لها[٥]
وسعى إليّ بصَرْمِ عزّةَ نسوةٌ جعل المليك خدودهنّ نعالها[٦]

٩٨ ـ من حكمة القضاء : ـ

قال الشعبي : كنت جالسا عند شريح إذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها وهو غائب وتبكي بكاء شديدا ، فقلت أصلحك الله ! ما أراها إلا مظلومة ! قال : ما علمك ؟ قلت : لبكائها : قال : لا تفعل ، فإن إخوة يوسف ﴿ **جاءوا أباهم عشاء يبكون** ﴾ وهم له ظالمون .

٩٩ ـ استقبال الموت خير من استدباره : ـ

قال العلوي : ـ

مُحَرَّمَةٌ أكفالُ خَيْلي على القنا ودامية لَبّاتُها ونُحُورها
حَرَامٌ على أرماحِنا طعنُ مُدْبِرٍ وَتَنْدَقُّ منها في الصدورِ صُدورها

١٠٠ ـ موصوف بالحماقة : ـ

سئل أعرابي عن رجل فقال : لو كان في بني اسرائيل ووقعت قصة البقرة ، ما ذبحوا غيره .

١٠١ ـ الرجل الكامل : ـ

قيل لأعرابي : فلان أحمق مرزوق . فقال : هذا هو الرجل الكامل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٠٢ ـ رحم الله امرءا عرف قدر نفسه : ـ

قيل في قوله تعالى : (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) معناه : عرفناهم عيوب أنفسهم .

الهوامش

(١) قال هارون : المجشع وصف لم يرد في المعاجم المتداولة . عني به الحريص على الطعام .
(٢) يشير إلى ما فعله الثوار يوم الدار بذي النورين أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، حيث خضبوا المصحف بدمه ، جازاهم الله بما يستحقونه (من تعليق الأستاذ محي الدين رحمه الله) .
(٣) الحلائين ـ بالحاء المهملة ـ الذين يصنعون الحلية .
(٤) طبن لها : خدعها تأتي لخدعها بفطنة .
(٥) موفق : قاص موفق مسدد في أحكامه ملهم للعدل والخير .
(٦) المليك : الله سبحانه وتعالى .



١ قصيدتان

علي عبد القيوم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للعصافير منك رشاقتها
ولديك من الأجنحة
ما يرفرف فوقي
فكأن الغمامَ يظللني
حين أعبر نحوكِ ساح الفراقِ المريرْ

كنتِ تلهين بين أُخياتك بالحبلِ
كنتُ أغرقُ في الطلِّ . . أبكي عليك
والعصافيرُ تقفزُ في الظل
قربكِ ، ترنو إليكْ

كان خوفي عليكْ
من طموح الطفولة يصهرني
قبل عشرين عام

كيف لا
والجميع نيام ،
ولحجرتِك المستحمةِ بالضوءِ
صحو الأمومةْ !؟

كيف لا
والكتابُ الجديدُ ملاذك
والقصيدةُ بيتك
إيه يا زهرة أنبتتها الجراح الأليمةْ

أصبح البيت دونك شوقاً طويلاً الى الضحكات الحميمةْ
والنكاتُ الذكيةُ يا طفلتي
أصبحت تتأرجح في الصمت
مثل النكاتِ القديمةْ
إيه يا زهرة أنبتتها الجراح الأليمةْ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

② شيخي

(كنت في الخرطوم ولم أكن فيها حين رحل
شيخنا الشاعر محمد المهدي مجذوب !)
علي عبد القيوم

كانت الشمسُ في ألق الاستِحاء الصباحيِّ .
كنت أمشي وحيداً شريداً

كان شيخي بعيداً . . بعيداً
وأنا لم أنم ليلة كاملهْ

(كان بيني وبين الجميع خصامٌ
وبيني وبين الوطن
لغةٌ غضةٌ في كفن)

* * *

كنت أمشي وحيدا شريدا
خارجا من مغارة خمارةٍ خاملهْ
والمدينةُ لم تستفق بعدُ
وطوال المساء الكئيبِ - (الذي لم أنم فيهِ)
كان صوت المعزين يغمرُ روحي
وكانت مدائح شيخي ترف على الأفق
سرباً من الطير لا يستسيغ الرحيل

هكذا أصبحت كل تلك الغيوم المسائية الداكنهْ
في صباح الرحيل
عالماً من أريج البخور المصندل والمسك والزنجبيل

كل هذى المباني الضخام
أصبحت كهرمان
والمدينة هذي الغريبةُ عني
المدينة ذات المباني الضخام

ARCHIVE
http://Archive.sakhrit.com

المدينة التي أصبحت كهرمان
صار قلبي فيها ضريحاً لشيخي

* * *

صار شيخي (ضميرُ الوطن)
لغةً ثرةً في كفن
غادرت لغتي ظلمات الكفن
صار قلبي ضريحاً لشيخي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الضرائر الشعرية

بين الأخطل الصغير والدكتور قميحة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم الدكتور جميل علوش

كتب الدكتور مفيد قميحة الاستاذ المحاضر في كلية الآداب في الجامعة اللبنانية ، دراسة عن الأخطل الصغير بعنوان « الأخطل الصغير حياته وشعره » وقد صدرت هذه الدراسة عن دار الآفاق الجديدة في بيروت سنة ١٩٨٢ . ويبدو أن هذه الدراسة كانت في الأصل رسالة جامعية نال عليها صاحبها درجة الدكتوراه . وليس من مهمتي في هذه المقالة ان أضع تقييما للرسالة فليسَ هذا مجال

ذلك . كل ما في الأمر أنَّ تعثر المؤلف في بعض النواحي الفنية جذب انتباهي فحملني على كتابة هذا التعليق .

يتحدث المؤلف عن الضرائر الشعرية في شعر الأخطل الصغير من خلال حديثه عن أسلوبه فيقول : ولم يخلُ شعر الأخطل الصغير من بعض الضرورات التي دخلته الا أن اكثرها من الذي لا يقبُح وجوده في الشعر ونجد مثيلها عند كثير من الشعراء . وقد أجاز النقاد حدوثها عندهم للضرورة الشعرية وخاصة ضرورات الوزن في أكثر الأحيان (ص٢٥٩) .

ولي على هذا الكلام عدة اعتراضات أجملها فيما يلي :

١ ــ لقد كان الأحرى بالمؤلف أن يتحدث قليلا عن الضرورات الشعرية وأنواعها وتبيين ما هو ثقيل وما هو خفيف وما هو مكروه وما هو مقبول منها ، قبل أن يتحدث عن الضرورات عند الأخطل الصغير ، فليس من المعقول أن يفترض المؤلف أن قراء كتابه مطلعون على خفايا الضرائر الشعرية حتى يبدهم بالحديث عنها دون مقدمات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٢ ــ يبدو اسلوب المؤلف هنا قاصرا . . ومن شواهد هذا القصور قوله : « وقد أجاز النقاد حدوثها (يقصد الضرورة الشعرية) للضرورة الشعرية » ، فيكون كلام الدكتور قميحة كما يلي :
وقد أجاز النقاد الضرورة الشعرية للضرورة الشعرية . فأي كلام هذا ؟ وما المعنى الذي يحمله في طواياه ؟ انها معاظلة بلا شك .

٣ ــ يقول المؤلف : « إن ضرائر الأخطل الصغير مما لا يقبح وجوده في الشعر ، ومما نجد مثيله عند كثير من الشعراء » بيدَ أنَّ الضرائر التي يشير اليها ويحاسب الشاعر عليها هي ضرائر غير موجودة أصلا . فليس لها ما يشابهها في تراثنا الشعري بل هي ضرائرُ اخترعها خيال المؤلف . فليسَ من الجائز أن نحاسِب الشاعر على ضرائر غير موجودة وعلى أسلوب يخلو من الضرائر .

٤ ــ في قول المؤلف : « وخاصة ضرورات الوزن في أكثر الأحيان » ما يفيد أنَّ من ضرورات الشعر ما لا يتعلق بالوزن . وهذا تناقض لم يقل به احد . فالأصل في الضرورات ان تقع في الشعر . ولذلك سميت بالضرائر الشعرية . ففي قول المؤلف السابق تجاوز للصواب وابتعاد عن الدقة .

ونمضي مع الدكتور قميحة فنعرض عددا من الأمثلة التي أوردها للتدليل على موقفه من الضرائر في شعر الأخطل الصغير . فمن ذلك قول الأخطل :

وبعضُ الجود مرحمة ورفق
وبعضُ الجود منقصة وذامُ

قال المؤلف : الأصل (وذمٌّ) إلا أن ضرورة القافية أجبرته على فك الادغام والاستعاضة بالألف بدلا من حركة المثل الذي حذفه . (ص٢٥٩ ـ ٢٦٠)

ويبدو أن المؤلف لم يسمع بالمثل العربي القائل : لا تعدم الحسناء ذاما . والذام كما يقول صاحب مختار الصحاح هو العيْب . وقال صاحب المصباح المنير : ذام الشخص المتاع ذيما من باب باع وذاماً على القلب عابه فالمتاع مذيم . وهذا يعني أنَّ الذام غير الذم وان كان معنياهما متماثلين أو متقاربين . وخطأ المؤلف أنه ظن أن الشاعر أراد الذم فاستعمل الذام واعتبر ذلك ضرورة . مع أن تراثنا الشعري لا يتضمن مثل هذه الضرورة . ولا شك ان الشاعر مصيب في استعماله ، فالذام كلمة عربية فصيحة كثيرة الاستعمال . وليس في البيت أية ضرورة شعرية . بل إن الحديث عن أية ضرورة شعرية في هذا البيت ضرب من الوهم والخطأ .

وأورد المؤلف هذا البيت :

لبنان يا جنة الأرواح ما فعلت
بك الليالي فعاد العرس مأساتا ؟

فقال : والأصل (مأساة) حذف التنوين واستعاض عنه بالألف دلالة عليه

لضرورة القافية . (انظر ص٢٦٠).

وليس في البيت أية ضرورة شعرية فمن المعروف أن كل قافية منصوبة تلحق بها وجوبا ألف يطلق عليها اسم ألف الاطلاق . وهذا البيت يجري عليه ما يجرى على كل القوافي المنصوبة . وما دام دخول ألف الاطلاق واجبا فلا بدع ان تظهر كلمة « مأساة » على هذه الصورة وليست في البيت أية ضرورة شعرية . ولكنه الوهم والخطأ . ومن العجيب أن يتحدث المؤلف عن حذف التنوين في الروي . فمن المعروف أن القافية لا تقبل التنوين وأن التنوين يحذف في القوافي على مختلف أنواعها وحركاتها . فما معنى التشديد على هذا الحذف وما قيمته ؟

وأورد المؤلف البيت التالي :

على أنني والغيد تهشم بعضها

علقت وليتي ما علقت بواحدة

قال المؤلف : « والأصل « ليتني » حذف النون لأنها زائدة لأنها دخلت على كلامه لسلامة الحركة التي هي الفتحة واكتفى بالياء لضرورة الوزن .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأسلوب المؤلف هنا ضعيف وبخاصة في قوله : « لأنها زائدة لأنها دخلت على سلامة الحركة » وتصور هذه اللامات المتعاقبة بلا داع . والتي كان من الممكن التخلص منها بصياغة النص على الوجه التالي : لأنها زائدة اذ دخلت على كلامه من أجل سلامة الحركة . الان أصبح النص عربيا فصيحا وكان أعجميا ركيكا .

أما من ناحية المضمون فليس في البيت ضرورة شعرية . فمن المعروف انه يجوز للشاعر أن يستعمل « ليتني » بالنون أو « ليتي » بحذفها . فكلا الاستعمالين جائز وان كان الأول أكثر ، بناء على قول ابن مالك في الألفية :

وليتني فشا وليتي ندرا

ومع لعل اعكس وكن مخيرا

فقضية الكثرة والندرة قضية سماع ولا علاقة لها بالضرائر الشعرية لأن ابن

مالك يتحدث عن استعمال ليتني وليتي في الشعر أو في النثر ولم يقل ان ليتني تستعمل في جميع أصناف الكلام وان ليتي لاتستعمل الا في الشعر حتى يعتبر استعمالها ضرورة . وبناء على ما أوضحت فليس استعمال « ليتي » ضرورة شعرية .

وأورد المؤلف هذا البيت :

منعتُ عنهم ضياء الشمس فانحجبوا

فهل تلومهمو أنْ فرقوا الحجبا ؟

قال المؤلف : « والأصل تلومهموا » حذف واو الجميع واكتفى بالضمة عليها ، وذلك لأن من العرب من يجزئ من الواو بالضمة . (انظر ص٢٦٠)

وقد وقع المؤلف في تيهاء وخبط خبط عشواء . فجانب الصوابَ في نقاط متعددة نجملها في ما يلي :

١ ــ إن الواو المتصلة بالضمير هنا ليست واو الجماعة بل هي حرف مدّ يتصل بضمير الغائبين والمخاطبين فنقول : « يرضيهمو » « ويرضيكمو » فقد دخلت على ضمير الغيبة والخطاب . ومن المعروف أن واو الجماعة لا تجتمع مع الخطاب لأنها لجماعة الغائبين . وقد تدخل الياء بدلا منها فنقول : « يرضيهمي » مما يدل على أن هذه الواو هي حرف مد يدخل على ضمائر المخاطبين والغائبين المنفصلة والمتصلة . فنقول أنتمو وهمو وبلادهمو ويرضيهمو . فهذه الواو حرف مد لا ضمير رفع .

٢ ــ من المعروف أن الألف الفارقة أو الفاصلة لا تلحق بضمير الجماعة بل هي تلحق بواو الجماعة المتصلة بالفعل الماضي والأمر والمضارع المجزوم والمنصوب نحو غابوا وحضروا وغيبوا واحضروا ولم يغيبوا ولن يحضروا . أما الضمير فلا تتصل به هذه الألف التي يسمونها الألف الفارقة أو الفاصلة لأنها تفصل بين الواو وما بعدها بحيث يستبعد أن تظن حرف عطف .

٣ ــ قال المؤلف واو الجميع والصحيح أن يقول واو الجماعة .

٤ ــ أوجب المؤلف الحاق الواو بضمير الغائبين والصحيح أن الحاق هذه الواو ليس واجبا بل هو جائز فالواو في هذا الموضع يجوز ذكرها كما يجوز حذفها . وهي مجرّد حرف مد لا واو الجماعة كما ذكر المؤلف .

٥ ــ لم يعر المؤلف موضوع الوزن في هذا البيت أية اهمية وقرر ان الشاعر اجتزأ عن الواو بالضمة ولم يعلم أن الاجتزاء بالضمة على الرغم من جـوازه في اللغة يكسر الوزن . فالواقع أن الشاعر كتب الكلمة كما درج على كتابتها العرب أو كما أجاز له اللغويون والنحاة . ولـيس عليه فيما اختار تثريب . غير أنه من الجدير بالذكر انه مهما كانت الطريقة التي يكتب بها الضمير فمن الواجب هنا أن تمط الميم فتعتبر مقطعا طويلا حتى يتسق الوزن . فلا شك أن الاجتزاء بالضمة عن الواو هنا يكسر الوزن لولا انه يجوز للشاعر في هذا الوضع أن يحذفها شكلا وأن يثبتها نطقا . فلو حذفت الواو هنا نطقا لاختل الوزن الذي هو من البحر البسيط .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٦ ــ قال المؤلف : « من العرب من يجزيء عن الواو بالضمة » . والصحيح أن يقول : من العرب من يجتزىء عن الواو بالضمة . وهكـذا ورد في كتاب « ضرائر الشعر » للقزاز القيرواني حين تحدث عن جواز الاجتزاء بحرف من الكلمة يدل على سائرها . فقد قال « الاجتزاء » ولم يقل « الأجزاء » ولكل منهما معنى وموضع (انظر ص٢٣٢)

أورد المؤلف للشاعر هذا البيت :

يجلّي عـن سـما الأوطـان هـذا الـذل والهـونـا

قال المؤلف : « والأصل الهوان الا أنَّهُ اضطر الى ذلك لمقتضيات الوزن » فعلى ذمة الدكتور قميحة أنَّ الاخطل الصغير كان يريد أن يقول : « الذل والهوان » فقال : « الذل والهون » لضرورة الوزن لأن الهون على ذمته غير موجودة في متن

اللغة . عجيب هذا الكلام ! كأنَّ المؤلف أعجمي أو أفرنجي . ولو استشار أي معجم عربي لعرف أن الهون مثل الهوان . وأنَّ الشاعر مصيب غير مخطئ . قال صاحب مختار الصحاح : الهون بالضمِّ مثل الهوان . فما رأي المؤلف وما جوابه ؟

أورد المؤلف للشاعر هذا البيت :

ومشى مروان في تشأره بشباب صادقي العزمات حُمسِ

قال المؤلف : والوجه بشباب صادق العزمات الا انه أشبع الكسرة في القاف فصارت ياء وكان حقه أن لا يشبع منعاً لالتقاء الساكنين . (انظر ص٢٦١) .

هذا فقه في العربية عجيب . فالمؤلف يحلل ويحرّم ويسمح ويمنع دون أدنى اعتماد على قاعدة أو شاهد . إنّ الشاعر أكثر فهما للعربية من المؤلف . فالشاعر يعلم أن الشباب جمع شاب كما ذكر صاحب مختار الصحاح . وهي أكثر ما تستعمل جمعاً . قال أبو حمزة الشاري : شباب والله مكتهلون . وقال شوقي :

شباب قنعُ لا خير فيهم وبورك في الشباب الطامحينا

وقال ابراهيم طوقان :

حيّ الشبابَ وقل سلاماً انكم أمل الغدِ
صحت عزائمكم على دحر اللئيم المعتدي
والله مدَّ لكم يداً تقوى على أقوى يد

واذا كانت الشباب جمعا فمن الطبيعي ان تنعت بجمع . وهذا ما صنعه الشاعر فقد اتبعها بصادقين جمع صادق . ولكنه حذف النون للاضافة . فليست الياء هنا للاشباع كما توهَّم المؤلف بل هي ياء حقيقية . ولو كانت الشباب مفرداً وهذا جائز لكان من الطبيعي أن يتبعها الشاعر بمفرد . فيقول شباب صادق . وهو حينئذ ليس بحاجة لاشباع القاف . ولكن المشكلة تكمن في النعت الثاني لكلمة « شباب » ألا وهي كلمة « حمس » فان هذه اللفظة جاءت على صيغة الجمع على نسق النعت الأول . وعلاوة على ذلك فلا قواعد اللغة ولا أصول الموازنة تجيز أن يتبع الكلمة الواحدة نعتان أولهما مفرد والثاني جمع . ويبدو في ذلك ان كل تخريجات

الدكتور قميحة من قبيل الترهات والأوهام التي لا تقوم على أساس .

وأورد المؤلف هذا البيت :

قـدْك يـا عـصـر اختـراعـاً إنـهُ مكمـن الـويـل ولكـن قـد طُـلي

قال المؤلف : والأصل قد كفاك أو كفى فحذف الكلمة واستعاض عنها بحرف واحد دليلا عليها وذلك لضرورة الوزن (انظر ص٢٦١)

وهذا تخريج عجيب كأنَّ المؤلف لم يسمع أنَّ في العربية « قد » الاسمية بمعنى حسب وقدك بمعنى حسبُك كما جاءَ في مختار الصحاح . وهذه الاسمية غير الحرفية التي تفيد التحقيق مع الماضي والتقليل مع المضارع . « وقد » بهذا المعنى مستعملة في الشعر كثيرا . ونذكر بهذا الصدد قول أبي تمام :

قـدْك أتئـب أربيـت في الـغـلواءِ

كـم تـعـذلـونَ وأنـتـم سـجـرائي

فليس في بيت الأخطل الصغير لا حذف ولا تقدير . فكل ما حدث أن الشاعر استعمل « قد » الاسمية والمؤلف لا يعرف الا « قد » الحرفية . والفرق كبير بين الأولى والثانية . ولو كان ما قاله المؤلف بحق الشاعر صحيحا لكان ما صنعه الشاعر ليس ضرورة شعرية بل مهزلة لغوية فليسَ له شبيه في الشعر العربي .

وأنكى من ذلك كله أنَّ المؤلف كان يُحيل على كتاب « ضرائر الشعر » للقزاز القيرواني . وكانَ في احالته يموه بصورة سافرة . فقد دأب على الاحالة لا على صفحة واحدة في الكتاب بل على أكثر من عشر صفحات في كل مرة . وكنت أحاول أن أجد صلة بين موضوع الحديث والمصدر المحال عليه فلا أجد . وحسبنا أن نذكر هذا المثال :

قـالـوا الحجـاز مجـدب لمـا غمـوا

ونـعـمُ فـيـه جـنـةٌ ونَـهَـرُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال المؤلف : والأصل نهر بتسكين الهاء الا انه حرّكها بالفتح للضرورة . وأحال على كتاب « ضرائر الشعر » (من ص٢٣٢ ـ ٢١٣) ويظهر أن ثمة خطأ في الترقيم . فليس من المعقول أن نبدأ برقم ٢٣٢ وننتهي برقم ٢١٣ . ولكن هذا الخطأ تكرر مرتين متتاليتين . وعند الرجوع الى هذه الصفحات في كتاب الضرائر لم نجد شيئا . أما بالنسبة لما زعم المؤلف أنه ضرورة فليس من الضرورة في شيء . فكلمة « نهر » تلفظ بتسكين الهاء وفتحها كما ورد في مختار الصحاح وكذلك زَهَر وشعر . فبأي حق يزعم المؤلف أنَّ « نهر » ساكنة الوسط وأن الشاعر حركها بالفتح للضرورة ؟

هذه ملاحظات على موضوع فرعي في كتاب الدكتور قميحة عن الأخطل الصغير . فكيف لو توغلنا في الكتاب وقلبنا صفحاته وأنعمنا فيه النظر ، وكيف يؤنس في نفسه الكفاية للتصدّي لهذه المهمات من يعجز عن معالجة قضايا بسيطة في اللغة مثل الجوازات الشعرية وربما يحتج له بعضهم بأنه دارس أدب لا لغة . والجواب هو أن القضايا التي عالجها من المسائل السهلة التي لا يليق بدارس الأدب ان يجهلها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

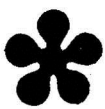
والطامة الكبرى أن يكون المشرف على هذه الرسالة هو الدكتور محمد زغلول سلاّم الناقد المصري المعروف وصاحب كتاب « تاريخ النقد العربي »،كيف تجوز هذه الأخطاء على صاحب كتاب « تاريخ النقد العربي » وغيره من الكتب ذات القيمة الكبيرة ، هذا ما لا نستطيع الاجابة عليه إلا أن تكون اللغة العربية قد هانت على أهلها فقد شُغِلَ النقاد عنها بكل شيء وبخاصة ما كان مستوردا من القضايا الأدبية إلا اللغة فقد غضوا عنها الطرف وغفلوا عما تمثله من قيم فنية وعلمية وقومية .

ويبدو من كل ما سلف أن الدكتور قميحة لم يصب شاكلة الرمي في أي من الشواهد التي أوردها للتعريف بالضرورات الشعرية التي استخدمها الأخطل الصغير . وكان كل ما ذكره منها مجرد افتراض وتخمين ليس لهما سَنَدٌ من حق ولا إشارة من علم .

ونحن لا نقول هذا لأن الأخطل الصغير لم يستخدم الضرائر الشعرية فقد استخدمها ككل الشعراء القدامى والمحدثين . وبوسعنا أن نورد من ضرائره الشعرية بل من أخطائه اللغوية والنحوية الشيء الكثير . بيد أن مما يدعو إلى الأسف أن ينسب له المؤلف ما توهم أنه من الضرائر فراح يحلل وينظر بطريقة تدل إما على استهانة بعقول العلماء وإما على فرط توهم وافتراض . وكلتا الصفتين لا تليق بالعلماء الأصلاء .

وإذا كان الأمر كذلك فكيف ننظر إلى هذه الرسائل الجامعية التي تتدفق علينا من كل فج وحدَب ؟ ماذا يمثّل صاحب الرسالة الجامعية الذي لايعرف اللغة ولا يتقن النحو ولايضبط الوزن ؟ إنها مشكلة خطيرة بحاجة إلى حل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com





ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر: د. هـ. لورنس

ترجمة: رياض عبدالواحد

ولد ديفيد هربرت لورنس في ايست وود من مقاطعة نوتنك هام شاير في عام ١٨٨٥ . دخل مدرسة نوتنك هام العالية وتخرج في جامعتها . د. هـ. لورنس هو الطفل الرابع من الأطفال الخمسة لعامل تعدين وزوجته التي تنتمي الى الطبقة الوسطى .

ظهرت روايته الأولى « الطاووس الأبيض » عام ١٩١١ أي بعد وفاة والدته بعدة أسابيع والتي كان قريبا منها الى درجة غريبة .

هرب لورنس خفية عام ١٩١٢ مع زوجة معلمه للغات المعاصرة فريدا ويكلي الألمانية الجنسية ثم عادا الى انكلترا ليتزوجا عام ١٩١٤ .

كان لورنس في هذه الفترة يعتمد على معيشته على ما يكتبه فكانت حياته غير ميسورة في هذا المجال .

اكمل بعد هذا روايته « القوس قزح والمرأة العاشقة » عام ١٩١٦ . بدأ د. هـ. لورنس رحلته القاسية بعد الحرب للبحث عن طريقة مثلى للحياة أرقى من تلك الموجودة في الحضارة الغربية الصناعية فذهب الى صقلية وسيلان وأستراليا وأخيرا الى نيو ـ مكسيكو ثم رجع الزوجان الى أوروبا عام ١٩٢٥ .

كانت روايته الأخيرة « عاشق السيدة تشاترلي » قد منعت عام ١٩٢٨ وصُودرت لوحاته الفنية عام ١٩٢٩ .

توفي د. هـ. لورنس عام ١٩٣٠ في فينيسيا وكان يبلغ الرابعة والأربعين من العمر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ١ ـ

هذا زمنُ الخريفِ والفاكهةِ الساقطةِ أرضا
والرحلة الطويلة صوبَ النسيان .
يتساقطُ التفاحُ مثلَ قطراتِ طلٍ كبيره
ليفتحَ منفذاً له من نفسه .

ويحين وقت الرحيل ، وقت وداع
الانسان لذاته ، وقت ايجاد مخرج
من هذه النفس الوضيعة .

ـ ٢ ـ

أبنيتَ سفينة موتِكَ ، أبنيتَها ؟

إبْنِ سفينة موتِك ، لأنك ستحتاجها .

ستهبُ العاصفةُ ، اذ ذاك سيسقطُ التفاحُ
فظاً ، مدوياً ، فوق الأرض الصلده .

مثل رائحة الخرائب هو الموتُ في الهواء !
آه ، الا تستطيع استنشاقه ؟

في داخل الجسد المرضوض ، تجدُ الروحُ نفسها منكمشةً ، جافلةً من البرد الذي يجتاحها من خلال الثقوب .

ـ ٣ ـ

أبمقدور الانسان أن يرسمَ موتَهُ
بسكين عارية ؟
بخناجر ، بسكاكين ، بطلقات نارية ،
بمقدوره وخز نفسه ، أو
الوصول الى منفذ لحياته ،
لكن أخبرني
هذا هو الموت ،
أهذا هو الموت ؟
هو ليسَ كذلك ! أيكون القتلُ ، الانتحارُ
موتاً في يوم من الأيام ؟

دعنا نتكلم بالهدوء الذي نعرفه ،
ذلك الذي بمقدورنا معرفته ، ذلك المتجذرُ الحبيبُ
للقلب المطمئن !
لكن كيف نستطيع ان نكسب هذا الموت ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ٥ ـ

إبن سفينة الموت ، لأنك سترحل
الرحلة الأطول صوب النسيان .

ستموت ذلك الموت ، الموت المؤلم المديد
ذلك الماكثُ بين الذات الجديدة والقديمة .

أجسادنا كانت مهشمة ، مشروخة برداءة ،
أرواحنا كانت تنضحُ من خلال منفذ الشرخ القاسي
كان الظلامُ ومحيط النهاية اللامنتهي
يتسربان من خلال فتحات جرحنا .
والآن يغطينا الطوفان .

آه ، ابن سفينة موتك ، ابن سفينتك الصغيرة
وزودها بالطعام ، بقطع الكيك والنبيذ
لأن الظلام يجثم حول النسيان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ ٦ ـ

وينتهي كل شيء ، ينتهي الجسدُ
تماماً في الحضيض ، ينتهي ، ينتهي تماما .
الظلمة في الأعلى ثقيلة كالتي في الأسفل ،
وبينهما تمضي السفينة الصغيرة
مضت السفينة
انها النهاية ، انه النسيان .

●●●

اللغة العربية
في المناهج التعليمية
بين النظرية والتطبيق
"الداء والدواء"

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إعداد :
عبد العليم عبد الفتاح محمد رسلان

هذا الموضوع تردد في صدري منذ بضع سنوات ، وكنت أسوف نفسي في الكتابة فيه ، معللا لها : بأن المسئولين عن هذه اللغة في وزارات التربية في عالمنا العربي يدركون ضعف مستوى الطلاب في لغتهم العربية ، ويعدون دائما ـ حسب ما روته الصحف عنهم ـ بأن هناك ثورة عارمة يخطط لها في المناهج ونظم التعليم عامة . ولكننا لم نر ثورة ولا ـ حتى ـ بوادر ثورة ، وإنما الأمر كما هو ، بل ربما يزداد سوءا ومستوى التلاميذ في هبوط مستمر ، مما حدا ببعض الكتاب والمفكرين

المخلصين في عالمنا العربي أن ينبهوا إلى هذا الخطر الداهم محذرين منه . ولكنهم - حين كتبوا في المشكلة - لم يمسوا جوهرها ، ولم يغوصوا فيها إلى العمق ، وإنما مسوها مسا خفيفا .

وهنا عاودتني رغبتي القديمة في أن أكتب في هذا الموضوع لعلي أستطيع أن أساهم في خدمة لغتنا ، لغة كتاب الله وسنة رسوله (ص) ووعاء فكرنا الاسلامي فأكون بذلك قد أديت واجبي ، وأرضيت ضميري نحو ربي ودِيني وأمتي . وسوف أتناول في هذا المقال قضيتين أساسيتين : -

١ ــ أولاهما : أسباب ضعف الطلاب في اللغة العربية .

٢ ــ وثانيتهما : طرق العلاج لهذا الضعف .

فأقول مستعينا بالله : -

أولا : أسباب الضعف : -

وعلى الرغم من أن هذه الأسباب متعددة ومتشعبة إلا أنها كلها قد تواطأت وتعاونت ، حتى أدت إلى هذه النتيجة المؤسفة المؤلمة ، وإليك بيانا لأهم هذه الأسباب : -

١ ــ التهاون في أمر هذه اللغة ، (اللامبالاة) بها ، وعدم الاعتزاز بشأنها واعتبارها وعاء لتراث حضاري عمرة أكثر من خمسة عشر قرنا من الزمان . وقد أخذت هذه (اللامبالاة) وذلك التهاون مظاهر متعددة ، وأشكالا متنوعة يمكن إجمالها فيما يلي : -

أ ــ على المستوى الجماهيري والرأي العام الذي تمثله أجهزة الاعلام ووسائله المختلفة من صحافة وإذاعة (مسموعة ومرئية) تجد الاستهتار واضحا ، فنشرات الأخبار مليئة بالأخطاء اللغوية الشنيعة ، وهي تشيع في النشرة الإخبارية من بدايتها حتى نهايتها مما يضيع على السامع فرصة الفهم في أحيان كثيرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإذا كانت وسائل الاعلام وأجهزته ، وهي لسان حال الأمة ـ حكومات وشعوبا ـ وقلبها النابض بالحياة وهي التي تتغلغل في جماهير الأمة جماعات وأفرادا ، وتقتحم على الناس بيوتهم ومتاجرهم وأسواقهم وحقولهم ، حتى حجرات نومهم ، إذا كانت وسائل الاعلام على هذه الدرجة من الضعف في لغتها القومية ، فهل ننتظر صلاحا للغة في أمة هذا شأنها ، وشأن إعلامها ؟

ب ــ وليت أجهزة الاعلام في عالمنا العربي وقفت عند هذا الحد من التهاون باللغة ، بل زادت الطين بلة فراحت تسخر منها وتهزأ بها ، وتوجه إليها وإلى القائمين بأمرها المتمسكين بالفصحى منها السهام الطاعنة . فالمسرحيات والافلام والتمثيليات والمسلسلات التليفزيونية قد دأبت على الحط من شأن هذه اللغة وإلا فكيف نفسر منظر مدرس اللغة العربية وهو يتشدق بالألفاظ الغريبة من العربية . ويتنطع في مخارج الحروف على وجه تسقط معه هيبة العربية وقدسيتها في نفوس أبنائها ، وخاصة الناشئين منهم . هذا كله يحدث في الوقت الذي ترفع فيه المسرحية أو التمثيلية ـ للأسف ـ من شأن العامية الهزيلة الضحلة التي يتحدث بها البطل بملء فيه دون حياء أو خجل . وعجبي من المخرج الشهم المحترم الذي نسي أو تناسى أن أي مجتمع يحتقر لغته أو يستهين بها هو يستهين بقوميته وبتراثه وبأصله ، وعجب قبله للمؤلف الجهبذ الذي نسي أوتناسى أيضا أن اية أمة تصبح لغتها أضحوكة ، فإن الأمة نفسها تصبح هي الأخرى أضحوكة الأمم كلها ، ومسخرة المجتمعات البشرية بأسرها .

٢ ــ وهناك عامل ثان من العوامل التي كانت سببا في هبوط المستوى العام للغة العربية في المدارس وفي غيرها وهو الأسلوب المتبع في تعليم هذه اللغة ، وأقصد بهذا الأسلوب ثلاثة أمور : ـ

أ ــ المناهج والكتب المدرسية المقررة لتمثيل هذه المناهج .

ب ــ الطريقة المتبعة في تطبيق هذه المناهج وفي ترجمتها إلى واقع عملي محسوس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جـ ـ القائمين على تنفيذ البرامج والخطط الدراسية والمناهج التعليمية .

وإليك أيها القارىء توضيحا لذلك : ـ

أ ـ المناهج والكتب المدرسية المقررة : ـ

ويضعها كبار المسئولين في وزارات التربية، وما على المدرس والتلاميذ إلا أن يلتزموا بالمنهج وبالكتاب ، ولا يسوغ لهم أن يخرجوا عنه بأية حال . ومعنى هذا الالتزام .

ـ ان شخصية المدرس تكاد تكون ملغاة إلغاء تاما ، مع أنه هو الذي يتعامل مع التلميذ ويحتك به ، وبالتالي هو أقدر على فهمه وإدراك متطلباته .

ـ كما أن التلميذ قد أغفل إغفالا تاما وأسقط من حسابات المنهج ، مع أن المنهج موضوع من أجله ، ولتلبية مطالبه ، إذ هو المحور الأساسي الذي تدور من حوله العملية التعليمية والتربوية كلها . ولنأخذ فرعا من فروع اللغة العربية وهو « النحو » مثالا يتضح منه مدى إغفال المنهج لحاجات التلاميذ ومتطلباتهم الأساسية ، فموضوعات هذا النحو تختار وتقرر على التلاميذ على أساس من منطق الكبار وتفكيرهم ، ليس على أساس مراعاة حاجات التلاميذ وسيكلوجياتهم ، فالمنهج ـ إذن ـ قائم على أساس أن ما يحتاج إليه الكبار يجب أن يتعلمه الصغار سواء أكان هؤلاء الصغار في حاجة إليه أم لا ، مع أن البحوث النفسية التي أجريت أثبتت نتائجها أن للصغير احتياجات تختلف عن احتياجات الكبار ، وأحيانا تناقضها .[1] وإلا فما حاجة التلاميذ إلى أن يعرفوا أن الحال ثلاثة أنواع : مفرد ، وجملة ، وشبه جملة وشبه الجملة نوعان : ظرف ، وجار ، ومجرور ، وأنه لابد في الحال الجملة من رابط يربطها بصاحبها والرابط قد يكون « الواو » فقط ، وقد يكون الضمير فقط ، وقد يكونان معا . ثم ما حاجتهم إلى أن يكدوا أذهانهم في معرفة الجمل التي لها محل من الاعراب ، والجمل التي لامحل لها من الإعراب ، والمصدر الصريح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمصدر المؤول ؟ ثم ما حاجتهم إلى أن يعرفوا أن جملة « يحب المحسنين » في قولنا « إن الله يحب المحسنين » في محل رفع ؟ وما ذا يضيرهم لو لم يعرفوا أنها في محل رفع ؟ وهل سيترتب على جهلهم المحل خطأ في الضبط ؟ هذا كله فضلا عن أن كلمة « محل » نفسها لايمكن أن يستسيغها عقل تلميذ في الصف الثالث المتوسط لا يعدو عمره الزمني اثنى عشر عاما أو ثلاثة عشر على أكثر تقدير . ثم كيف يهضم هذا التليمذ نفسه الإعراب التقديري في المقصور والمنقوص من الأسماء نحو الفتى ، والعصا والحجا والقاضي والداعي ، والساعي ، وفي المعتل من الأفعال نحو يرمي ، ويدعو ويسعى ؟

إن جهل التلميذ بالاعراب التقديري في الكلمة لن يؤثر في ضبطها ، لأن آخرها لن تظهر عليه الحركة بحال ، إذن فما كان أغنى التلميذ والمعلم عن هذا القيل والقال الذي لافائدة فيه ولا ثمرة ترجى من ورائه ؟ وأمامي الآن وأنا أكتب هذا المقال كتب النحو المقررة على المرحلة المتوسطة وهي مليئة بالغث والحشو ، ومنهما على سبيل المثال لا الحصر : الضمائر المتصلة والمنفصلة ومحلهما الاعرابي ، وأنواع النعت ، وأنواع الفعل المعتل وأنواع الفعل الصحيح . . الخ ، وكلها لاداعي لها ولا حاجة بالتلاميذ إلى دراستها في هذه المرحلة التعليمية ، لأنها لا تهم المثقف العادي غير المتخصص في شيء ، ويكفي المثقف العادي أن يعرف من النحو « النحو الوظيفي » فقط وهو مجموعة القواعد والقوانين التي تؤدي الوظيفة الأساسية للنحو وهي ضبط الكلمات ونظام تأليف الجمل ، ليسلم اللسان من الخطأ في النطق ، ويسلم القلم من الخطأ في الكتابة . أما النحو التخصصي « الأكاديمي » فهو ما يتجاوز ذلك إلى المسائل المتشعبة والبحوث المستفيضة الدقيقة التي حفلت بها أمهات كتب النحو الواسعة .[٢] وهذا النوع من النحو يترك للكليات والمعاهد المتخصصة ، ولمن شاء أن يتخصص فيه . ولو اقتصرت دراسة النحو في مدارسنا على النحو الوظيفي فقط ، وأبعد من المنهج كل حشو لا صلة له بالوظيفة الأساسية للنحو لأمكن لنا أن نضع النحو اللازم لطلابنا ولغيرهم في

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حياتهم اليومية وأداء واجباتهم الوظيفية في صفحات قليلة لا تشابك فيها يربك الدارس ولا تعقيد ولا التواء ينال من عزيمته أو يكدر ذهنه . هذا شأن النحو « المسكين » في مدارسنا . فإذا ما نحيناه جانبا ، وأجلنا النظر في غيره من فروع اللغة العربية وليكن « تاريخ الأدب » أو « النقد والبلاغة » في المرحلة الثانوية ، رأينا العجب العجاب . فطالب الصف الأول الثانوي « أو الصف الثاني في بعض البلاد العربية »[٣] يدرس تاريخ الأدب الجاهلي شعرا ونثرا ، وأغراض الشعر ، وعوامل نشأتها . وفي البلاغة يدرس معنى البلاغة ، والمجاز ، والاستعارة والتشبيه ، بنوعيه المفرد والمركب ، والكناية . . الخ ، وطالب الصف الثالث (أو الرابع) يدرس الأدب وتاريخه في عصرين : المملوكي والتركي ، والعصر الحديث ، وعوامل الضعف في الأول ، وعوامل الازدهار في الثاني ، ثم يعرج على الرواية والمسرحية فيدرسهما تاريخا ونقدا .

كما يدرس ثقافة الناقد الأدبي ، وما يجب أن يتوفر فيه من صفات ، ويدرس أيضا التجربة الشعرية وموسيقى الشعر (داخلية وخارجية) . . الخ وهو يدرس كل ذلك دراسة تفصيلية ، أو بتعبير أدق يراد له ذلك ، في الوقت الذي يعجز فيه هذا المسكين (حتى طالب الثانوية العامة) عن كتابة بضع جمل سليمة دون خطأ إملائي أو نحوي أو تعبيري . ثم كيف يدرس هذا الطالب تاريخ الأدب ، ونقده على هذا النحو المفصل والدقيق ، ونصيبه من الأدب نفسه ضحل وهزيل ؟ إن الحكم على الشيء فرع عن تصوره كما يقول المناطقة ، ولهذا لا أكون مبالغا إذا قلت : إن تدريس تاريخ الأدب والنقد والبلاغة في مدارسنا جناية كبرى على اللغة من ناحية وعلى الطالب من ناحية أخرى .

ب ـ أما عن الطرق المتبعة في تطبيق هذه المناهج فالمقصود بهذه الطرق أسلوب الامتحانات وطريقة تقييم التلاميذ ، واختيارهم فيما حصلوه من ثروة لغوية طوال عام دراسي كامل . ولا أكون مغاليا إذا قلت : إن هذه الطرق كلها عقيمة ، وشكلية أكثر منها عملية ، وإليك بيانا لهذه الشكلية : ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لقد درج منهج اللغة العربية أن يقسمها إلى فروع ستة سواء أكان ذلك في المرحلة المتوسطة أم في المرحلة الثانوية . طبعا مع اختلاف في نوع الفروع تبعا لاختلاف المرحلة : ففي المرحلة المتوسطة تكون الفروع على النحو الآتي : - النحو ، النصوص ، القراءة ، التعبير ، الاملاء ، الخط . وفي المرحلة الثانوية تكون الفروع : النحو ، النصوص ، القراءة ، التعبير ، تاريخ الأدب ، والنقد والبلاغة . ولكل فرع من هذه الفروع في المرحلتين - درجات (علامات) خاصة به تتفاوت قلة وكثرة . وعلى الطالب في كلتا المرحلتين أن يحصل على ٥٠٪ من مجموع درجات هذه الفروع كلها بغض النظر عن كيفية حصوله على هذه الـ ٥٠٪ وبغض النظر أيضا عن الفروع التي برز فيها ، والفروع التي قصر فيها فمتى حصل على ٢٥ من ٥٠ فقد فاز ، ولو كان نصيبه في أحد الفروع صفرا ، إذ ليس لأي فرع من الفروع نهاية صغرى يجب ألا تقل درجات الطالب عنها . وفي هذا المسلك من الشذوذ والغرابة والتناقض الشيء الكثير إذ كيف يستساغ هذا الوضع الشاذ مع المبدأ السيكلوجي والتربوي المسلَّم به لدى جميع التربويين وهو « أن فروع اللغة العربية حلقات تؤلف سلسلة واحدة » ؟ إن هذا المبدأ يقتضي أن يرسب كل طالب في اللغة العربية كلها إذا رسب في أي فرع من فروعها . ولهذا أرى أن يكون لكل فرع نهاية صغرى لا تقل درجة أي طالب عنها . ثم أن هناك أمرا خطيرا في تمزيق اللغة الى فروع مع عدم تحديد نهاية صغرى لكل فرع وهذا الأمر الخطير هو أن تعليم اللغة بهذه الطريقة قد فوت على التلاميذ مبدأ تربويا هاما وهو ضمان النمو اللغوي لدى التلاميذ نموا متعادلا ، لايطغى فيه لون على لون آخر .

ولهذا التفويت المتعمد يقع التلاميذ في اضطراب بيِّن ، وتحدث المفارقات العجيبة في ورقة الإجابة في الامتحانات ، فبينما نجد طالبا قد حصل على الدرجات النهائية في فرع ما نجده قد أخفق إخفاقا تاما في فرع آخر . وفي نهاية المطاف يكون مصيره النجاح - للأسف - في ظل هذا النظام الأبله . إذن فما أبعد البون بين النظرية والتطبيق !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقي أمر آخر في عملية التقييم أحب أن ألفت الأنظار إليه وهو تمزيق وحدة الفرع الواحد إلى جزيئات ثم تمزيق الجزء الواحد إلى جزيئات وهكذا إلى ما لا نهاية بعد أن مزقت هذه اللغة (المسكينة) إلى فروع . أما بيان ذلك فيتضح من المثال الآتي : إذا قيل للطالب في امتحان النحو : أعرب ما تحته خط في العبارة الآتية : « يرضى الله عن المتقين » فقال « عن » حرف جر ، والمتقين فعل مضارع مجرور بالفتحة . فإن هذا الطالب يأخذ نصف الدرجة المخصصة للسؤال بمقتضى اللوائح والأنظمة (الامتحانية) الصادرة من الجهات العليا . ولكن هذا الطالب نفسه بمقتضى العقل والمنطق وقوانين التعلم لايستحق شيئا إطلاقا ، لأنه أفصح عن جهله المركب . وهو وإن كان قد أصاب في « عن » فلم تكن إصابته تلك عن علم وفهم وإنما كانت خبط عشواء .

جـ ــ أما القائمون على تنفيذ البرامج والخطط الدراسية والمناهج التعليمية فأنا أعني بهم ذلك الصف الطويل جدا الذي يبدأ بالمدرس مرورا بالمدرس الأول والموجه والناظر حتى نصل إلى قمة الصف (المسئولين الكبار وواضعي المناهج ومخططي السياسة التعليمية في الديوان العام للوزارة) ولي معهم جميعا وقفة على النحو الآتي : ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ــ المدرس : ـ وهو لم يعد إعدادا علميا كافيا ولا إعدادا تربويا سليما ، لأنه لم يدر بخلده يوما ما أنه سيكون مدرسا ، وإنما دفعت به الأقدار إلى هذه المهنة وهو لها كاره ومبغض . وطبعا فاقد الشيء لا يعطيه .

ــ أما عن المدرس الأول والموجه والناظر وغيرهم من كبار المسئولين عن اللغة العربية فكلهم يعرفون المستوى المنحدر الذي تنحدر إليه اللغة في مدارسنا وهم يلمسون ذلك من أوراق الامتحانات أو من زياراتهم الميدانية التي يقومون بها ، ومع معرفتهم هذه فإن الصورة القاتمة التي يعرفونها لا تظهر في نتائج الامتحانات ، وإنما تظهر الصورة الأخرى المشرقة فنتائج امتحانات اللغة العربية ٩٦٪ في معظم الحالات إن لم تكن ١٠٠٪ ، ولو تدنت النتيجة عن هذه النسبة لقامت الدنيا ولم

تقعد ، حتى الصحافة والرأي العام تساهم في هذا الخط ومما يدعو إلى العجب والدهشة أن هذه الصيحات لا ترتفع إلا من نتائج اللغة العربية فقط ، بينما نتائج امتحانات بعض المواد الأخرى كالرياضيات ، واللغة الانجليزية مثلا تتدنى نسب النجاح فيها ما شاء لها أن تتدنى ومع ذلك لا يرتفع صوت بشكوى ولا يجأر أحد بصراخ . فلماذا هذه النظرة الشزرة إلى اللغة العربية ؟

هذا هو أساس الداء وجهد البلاء الذي تعاني منه لغتنا اليوم . فما العلاج ؟

ثانيا : العلاج : -

في رأيي أن العلاج يكمن في أمرين هامين : -

١ ــ يجب - أولا وقبل كل شيء - أن تتوفر الجدية في الإصلاح ، وأن تخلص النيات والسرائر في حبنا للغتنا وفي الاهتمام بها .

٢ ــ كما يجب أيضا - وبعد توفر الأمر الأول - أن يعاد النظر في الفروع الحالية للغة العربية ، وفي نظام الدرجات المخصصة لكل فرع على النحو الآتي : -

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(أ) يجب أن تحدد لكل فرع من فروع اللغة نهاية صغرى محددة إن لم يحصل عليها الطالب رسب في المادة كلها . وأن تكون هذه النهاية الصغرى ٤٠٪ على الأقل من الدرجة النهائية المخصصة للفرع ، مع المحافظة على النسبة الحالية المعمول بها الآن وهي ٥٠٪ بالنسبة للغة ككل .

(ب) وإن لم تحدد لكل فرع نهاية صغرى فيجب أن نستعيض عن ذلك بتقسيم اللغة العربية إلى قسمين رئيسيين يضم كل قسم منهما الفروع ذات الطابع الواحد لتكون وحدة مستقلة بنفسها ولا تضم درجاتها إلى القسم الآخر ، وأرى - تطبيقا لذلك - بالنسبة للمرحلة المتوسطة (الإعدادية) : أن يكون النحو والإملاء قسما مستقلا بنفسه ، وأن تخصص لهما درجة مستقلة كأنهما - معا - مادة منفصلة . وأن تكون النصوص الأدبية والقراءة والتعبير والخط قسما مستقلا بنفسه أيضا بدرجته المستقلة وكأنها مادة منفصلة .

وسر هذا الاختبار أن النحو والإملاء من واد واحد أي أنهما قواعد مقننة ومحددة ولا مجال لاختلاف الأذواق فيها ، وبقية الفروع من واد واحد أيضا أي أنها تخضع ـ إلى حد ما ـ لموهبة الطالب وقدرته على التذوق والاستنباط أما بالنسبة للمرحلة الثانوية فأرى : ـ

ـ أن يلغى تاريخ الأدب ، والنقد والبلاغة من المرحلة كلها ، وأن يترك الأمر فيها للكليات والمعاهد المتخصصة .

ـ وأن يظل الإملاء مع الطالب في المرحلة الثانوية لايفارقه ، فقد أثبتت التجارب أن طالب الثانوي يظل يخطىء حتى الجامعة .

ـ وبناء على ذلك فيوضع الإملاء مع النحو ، ليكونا معا وحدة مستقلة بنفسها بدرجتها المحددة على النحو السابق ، وتجعل النصوص الأدبية والقراءة والتعبير قسما مستقلا أيضا ، لتكون ثلاثتها مادة منفصلة مستقلة .

٣ ـ وأن تأخذ الامتحانات طابع الجدية ، وأن تكون أساليب التقييم بعيدة كل البعد عن الشكلية ، فتكون الدرجة التي يحصل عليها التلميذ هي المؤشر الحقيقي لمدى تحصيله وجده واجتهاده ، وأن تكون نتائج الامتحانات صورة طبق الأصل من الواقع .

٤ ـ وأن يعاد النظر في سياسة إعداد مدرسي اللغة العربية سواء أكان ذلك الإعداد علميا (فنيا) أو مهنياً (تربويا) ففي الإعداد العلمي يجب على الكليات المعنية بإعداد هؤلاء المدرسين أن تعيد النظر في مناهجها الشكلية التي هي أقرب إلى القشور منها إلى اللباب وأن تعيد إلى كتب التراث كالأشموني ، وكتاب سيبويه والأغاني ، والبيان والتبيين حقها المهضوم في هذه الكليات .

٥ ـ ولا يفوتني هنا أن أنبه إلى أمر هام في العلاج وهو عودة الامتحان الشفوي في المدارس ـ وخاصة الثانوية منها ـ فاللغة في حقيقة أمرها وجوهرها كلام ملفوظ ، وليست « كلاما مكتوبا » فهي إذن نطق ومشافهة قبل أن تكون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتابة ، وإلا فكيف يمكن تقييم طالب في اللغة ـ دون أن نستمع إليه في نطقه .

هذه هي محصلة العوامل التي أراها علاجا لمشكلة طال أمدها واستفحل أمرها وهي ـ وإن لم تكن كفيلة بالعلاج الكامل وباقتلاع الشر من جذوره ـ فلا أقل من أنها تساهم في العلاج الكامل مساهمة فعالة وجدية . وهآنذا أضعها بين يدي أهل الحل والعقد ومن بيدهم الأمر والنهي لعل واحدا منهم غيورا على اللغة يعطي الضوء الأخضر للانطلاق نحو عمل مخلص وجاد نقدمه لله تعالى ابتغاء لمرضاته وخدمة لكتابه واعزازاً لسنة نبيه ﷺ قبل أن يفوت أوان هذه الخدمة فنندم ، ولات ساعة مندم . إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

الهوامش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ـ تعليم اللغة العربية د. حسين قورة .
٢ ـ النحو الوظيفي ص و .
٣ ـ وأيًا ما كان فالعمر الزمني للطالب واحد لا يختلف .

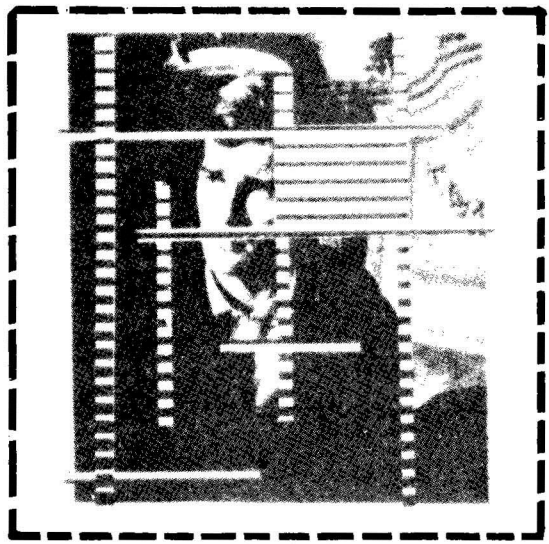
المراجع

١ ــ تعليم اللغة العربية . د/ حسين قورة . دار المعارف بمصر .
٢ ــ طرق تعليم اللغة العربية . د/ محمد عبد القادر . النهضة المصرية سنة ١٩٧٩م .

٣ ــ الطرق الخاصة بتدريس اللغة العربية . للأستاذ يوسف عبد المعطي وزملائه . وزارة التربية الكويتية سنة ١٩٦٦م .
٤ ــ في اللغة ودراستها د/ محمد عيد . عالم الكتب بالقاهرة سنة ١٩٧٤م .
٥ ــ لغة العرب وكيف ننهض بها . للأستاذ عطية الأبراشي ـ النهضة المصرية سنة ١٩٤٨
٦ ــ لغتنا والحياة . د/ بنت الشاطىء . دار المعارف بمصر سنة ١٩٧١م .
٧ ــ مجلة الكويت . العدد السابع
٨ ــ من حاضر اللغة العربية في الشام . للاستاذ سعيد الأفغاني . دار الفكر سنة ١٩٧١ .
٩ ــ النحو الوظيفي . للأستاذ عبد العليم إبراهيم . دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٧٠م .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

*



امتصاص

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قصة قصيرة بقلم : رفيقي بدوي

كنا ، انا وصديقي ، نسكن حجرة صفيحية على سطح العمارة الشاهقة ، فجأة وفي وقت واحد أصيب كل منا بهبوط شديد ودوخة وكنا لا نكترث ، وكنا نرجع سبب ذلك الى التدخين وعدم الأكل ، وكنا أنا وهو نبحث عن علة هذا الهبوط الشديد في القلب وسببه ، وكنا نبرر ذلك بأي شيء لأننا لم نكن نهتم بأي شيء .

قال ونحن ممددان بجوار بعض على المرتبة الملقاة على أرض الغرفة مباشرة : قال : لا تخف مجرد رطوبة ، فنحن ننام على الأرض مباشرة ، فالمرتبة المحشوة بقطع القماش توصل الرطوبة ، انها لعينة يا صديقي .

قلت : لا تهتم فنحن بخير ، نحن بخير يا صديقي .

قال : لا . . اننا مرضى ، أنت أصبت بالهزال ، انظر . . هذه هي المرآة . . انظر .

قلت : لا داعي . . لا داعي للمرآة على الاطلاق ، على الاطلاق ، فأنا أشعر بصحتي من خلال قوتي الداخلية ، أنا بخير ، ثم ان وجهك ما زال متوردا .

قال : سأذهب للطبيب .

قلت بفزع : لا داعي . . لا داعي مطلقا . . لا داعي ان تنكشف على أحد ، صدقني أن الأمور على ما يرام . . نعم على ما يرام .

قال : اني أصدقك ، لكني متعب ، متعب جدا .

ثم أخذنا السبات ونمنا ، نمنا ، نمنا .

استيقظت وانا أشعر بدوار وصداع مؤلم ، كان صديقي يتقلب بجواري ، وكانت يداه تتحركان في كل اتجاه ، كان يكحت جلده ، نعم كان يكحت جلده ، كان يكحته بعصبية .

اغتسلنا ، وقبل أن نمضي قدمت له يدي فأهملها وأشار بيده من بعيد وابتسم قائلا : سلام . قلت : سلام .

ذهبت لطبيب صديقي وقلت له : قم وافحصني فورا .

نظر الطبيب الي كي يتأكد ، هل أنا مريض ام كعادتي معه اداعبه فنظرت اليه مؤكدا طلبي .

فحصني الطبيب بدقة وقال : يجب أن تصدقني القول .

قلت : ماذا هناك . . كل ما في الأمر انني أشعر بدوار وصداع وهبوط شديد أحيانا .

قال : لا ؟

ثم صمت دقيقة كاملة امتدت أكثر من حجمها وقال : أنيميا ، ثم صمت وقال حادة ، ثم صمت وقال حادة جدا جدا جدا .

قلت : نعم ، سوء تغذية .

قال : أمعك نقود ؟

قلت : خمسون قرشا .

قال : أنت بعت دمك .

قلت : نعم ؟

قال : لماذا بعت دمك ؟

قلت : لم أبع دمي ، ثم كيف تسمح لنفسك بالتفكير بهذه الطريقة السخيفة .

قال : لأنك بعت دمك .

قلت : صدقني أرجوك . . لم أبع دمي ، ولكن مجرد أنيميا كما تدعي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قال : انها أنيميا حادة جدا جدا نتيجة لشيء واحد فقط هو انه امتص دمك ان لم تكن بعته .

قلت : كيف ؟

قال : يجب أن تعرف أنت .

خرجت أضرب كفا بكف باحثا عن سارق دمي ، كانت قطعة الجبن أمامي على الأرض ، وكان رغيف الخبز الذي قطعته نصفين لم أذق لقمة واحدة حين وجدت صديقي واقفا أمامي . . يصرخ في وجهي :

ـ لقد امتص دمي . . لقد سرق دمي .

فهمت أن صديقي عائد لتوه من عند الطبيب ، وفهمت ان هناك من يأتي بالتأكيد ونحن نيام ليسرق دمنا ويبيعه ، قال صديقي ان هذا لا يمكن أن يحدث ، لأن نومه خفيف ، وكيف لا نشعر بشكة الابرة عندما تنغرس في عروقنا .

وقلت عندما أتت الفكرة على ذهني مرة واحدة لنبحث عن موضع الابرة في عروقنا ، وبدأ كل منا بسرعة مجنونة يشمر عن ساعديه ويبحث ، ولكن بلا جدوى .

وقررت بيني وبين نفسي ألا أنام ، قررت أن أظل جالسا مترقبا اللص .

* *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاستغناء عن الحركات الإعرابية وتسكين أواخر الكلمات مع تطبيقات من اللهجة العربية في فلسطين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم : د. عبد الكريم مجاهد

إذا كانت الروح المحافظة التي تتمتع بها اللغة العربية قد حمتها من عوادي الزمان والمكان إلا أنها لم تمنع الناطقين بها من التحرر من الحركات الاعرابية حيث نجد اللهجات الدارجة على امتداد الوطن العربي قد تخلصت من ظاهرة التصرف الاعرابي ، مخالفة بذلك العربية الفصحى التي احتفظت دون أخواتها اللغات السامية بهذه السمة اللغوية التي « فقدتها جميع اللغات السامية باستثناء البابلية

القديمة قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي . . »[1]

وما زال « لها أثر في اللغة العبرانية يتبينه الباحثون في حالتي المفعول به وفي ضمير التبعية »[2] ولها أثر « في الحبشية »[3] كما يقرر برجستراسر .

ولانستطيع أن نجاري الدكتور إبراهيم أنيس فيما ذهب إليه من أن خلو اللهجات الدارجة من الحركات الاعرابية دليل على أن « ظاهرة الاعراب لم تكن ظاهرة سليقة في متناول العرب جميعا كما يقول النحاة بل كانت صفة من صفات اللغة النموذجية الأدبية ، ولم تكن من معالم الكلام العربي في أحاديث الناس ولهجات خطابهم »[4] لأن ما نقل إلينا من آثار يدحض هذه المقولة ويكفي للتدليل على ذلك احصاؤهم للأخطاء[5] التي وقعت قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وفي أثنائها وما بعدها أو في العصر الأموي ، مما يدل على قلته وأنه شاذ عن المألوف من السليقة العربية حينها حيث كانت تتقيد بالاعراب .

ولكننا ، رغم ذلك ، نرى أن هذه اللهجات الحديثة ومنها العامية الفلسطينية لم تتخفف من الحركات الاعرابية دفعة واحدة ودون أسباب ، طبعا لسنا بصدد البحث عن نشأة اللهجات ، ولكن ما يهمنا هو معرفة سبب اهمال الحركات الاعرابية في لهجاتنا الحديثة وأرى أن ذلك لم يأت طفرة واحدة بل جاء نتيجة لقانون طبيعي وهو أن كل شيء يسير من الصعب إلى السهل هذا من ناحية ، حيث تخففت لغة تخاطبنا من قواعد الاعراب المتشعبة وأسقطت من حسابها حركاتها الدالة عليها .

أما الناحية الأخرى فسببها لغوي وهو ما نقلته إلينا كتب اللغة والنحو والقراءات والتفسير من تداخل بين الحركات الاعرابية يخل بالنظام الاعرابي فرأينا للاشعار روايات مختلفة وفي الآيات أحيانا قراءات متنوعة ، فيتعاور الكلمة الواحدة حركتان أو ثلاث وهكذا مما جعل روح التساهل والتجاوز تطغى شيئا فشيئا حتى أصبح الاعراب في لغة التخاطب نوعا من الشذوذ وبابا للاستغراب ، حتى النحاة ، وهم حماة اللغة ، صاروا يجدون لكل رواية ما يبررها ولكل قراءة سندها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ووجهها ، وأن نظرة إلى ما أشرنا إليه من كتب التراث ترينا مدى الاضطراب الذي أصاب النظام الاعرابي فنحا الناطقون إلى الاتجاه الأخف وآثروا السلامة بالتسكين في النهاية ، وأسوق إلى القارىء طرفا من هذا الاضطراب : ـ

في خبر ما نجد الاعراب بالفتحة والضمة فهما يتبادلان الموضع ، فالحجازيون يشبهون ما بليس فينصبون خبرها « وأما بنو تميم فيجرونها مجرى أما وهل وهو القياس »[٦] وعليه يرفعون خبرها ، وعلينا أن نوجه نظرنا إلى قوله « وهو القياس » الذي يعني أن أي وجه آخر شاذ أو على الأقل غير قياسي وعليه يجب ألا نتعامل به وألا تتناقله كتب اللغة والنحو . ثم يقول لنا في مكان آخر « وقد زعموا أن بعضهم يجعل ليس كـ « ما » .[٧] ويستشهد له بقول هشام أخي ذي الرمة :[٨]

هي الشفاء لدائي لو ظفرت بها وليس منها شفاء الداء مبذول

ويضيف سيبويه « وذلك قليل لايكاد يعرف . . . هذا كله سمع من العرب »[٩] ويجعل من هذا القبيل قولهم : ليس خلَقَ مثلَه ، و « ليس الطيبُ إلا المسكُ »

« وأما » هذه التي رأى سيبويه أن بني تميم يجرون « ما » مجراها فقد يأتي الاسم بعدها مرفوعا أو منصوبا والعهدة على سيبويه نفسه إذ يقول في مثل قولهم : « أما علماً فلا علم له » : « وقد يرفع هذا في لغة بني تميم . . وقد ينصب أهل الحجاز قال الشاعر :[١٠]

ألا ليت شعري هل إلى أم معمر سبيل فأما الصبر عنها فلا صبرا

وأما بنو تميم فيرفعون . . فيقولون : أما العلمُ فعالمٌ »[١١]

وفي باب الفاعل نجد الأزهري يقول « وقد ينصب (أي الفاعل) شذوذا إذا فهم المعنى ، سمع من كلامهم : خرق الثوبُ المسمارَ وكسر الزجاجُ الحجرَ برفع أولهما ونصب ثانيهما »[١٢] ولايكتفي بذلك بل يضيف « وجعله ابن الطراوة قياسا مطردا »[١٢] وفي الحاشية نجد الشيخ المحشي يقول « إن من العرب من يرفع الفاعل والمفعول ومنهم من ينصبهما كما ذكره المصنف في شرح بانت سعاد» .[١٣]

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويستشهد الأزهري لابن الطراوة قائلا : « واستأنس له بعضهم بقراءة عبدالله بن كثير فتلقى آدم من ربه كلماتٌ »[١٤] بنصب آدم ورفع كلمات .

ويقول ابن يعيش : « وكان بعضهم ينصب الاسم والخبر بعد ليت . . وهي لغة بني تميم يقولون ليت زيدا قائما . . وعليه الكوفيون »[١٥] مع أن ابن يعيش يخص ليت بنصب الاسم والخبر بعدها إلا أنه يضرب أمثلة وشواهد تدل على أن هذا الأمر يتحقق أحيانا مع إن كقول الأخطل :[١٦]

خلا أن حيا من قريش تفاضلوا على الناس أو ان الاكارمَ نهشلا

ويمثل أيضا بقولهم أن غيرها ابلا وشاء . وكذلك بقول رؤية : يا ليت أيام الصبا رواجعا .[١٦]

وكذلك استطيع أن أمثل لهذه اللغة بقول عمر بن أبي ربيعة :

إذا اسود جنح الليل فلتأت ولتكن خطاك خفافا ان حراسنا أسدا[١٧]

وقول محمد بن ذؤيب العماني التميمي[١٨]

كأن أذنيه إذ تشوفا قادمة أو قلما محرفا

وقول ذي الرمة :[١٩]

كأن جلودهن مموهات على ابشارها ذهبا زلالا

ونجد السيوطي[٢٠] يقول في المضمار نفسه : « وسمع من العرب نصب الجزأين بعدها (أي بعد أن) وقيل هو مؤول . . وقيل سائغ في الجميع وأنه لغة وعليه أبو عبيد القاسم بن سلام وابن الطراوة وابن السيد » ويضرب أمثلة لذلك سقنا طرفا منها آنفا ولكن يهمني مما ضربه قوله : -

« وسمع لعل زيدا أخانا »[٢١] ولا يهمني تأويلات النحاة بل يهمني ما سمع عن العرب فلعل هذه قد نقل أنها تجر الاسم بعدها وهي لغة « عقيلية حكاها أبو زيد والاخفش والفراء »[٢٢] قال شاعرهم : [٢٣]

فقلت ادع أخرى وارفع الصوت جهرة لعل أبي المغوار منك قريب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهكذا من الحيرة بين النصب بها أو الجر لاسمها نشأ « أول لحن سمع بالبصرة كما يقول صاحب المغنى : . . . لعل لها عذرٌ وانت تلوم »[٢٤] وهو أمر كان على النحاة وغيرهم أن يتوقعوه لأن الاضطراب لابد أن يؤدي إلى الخطأ واللحن ولايخالجني شك في أن كثيرا من الأخطاء واللحون قد تسربت من هذه الزاوية أقول هذا لأن في الجعبة كثيرا مما نستطيع أن نعده من هذا القبيل ففي الاستثناء المنقطع في سياق النفي سنجد الحجازيين ينصبون المستثنى والتميميين يرفعونه فإذا رجعنا إلى كتاب سيبويه نجده يقول : « قولُك ما فيها أحد إلا حماراً هو لغة أهل الحجاز . . وأما بنو تميم فيقولون لا أحد فيها إلا حمارٌ . . وعلى هذا انشدت بنو تميم قول النابغة الذبياني :[٢٥]

يا دار ميـة بالعليـاء فالسنـد اقوت وطال عليها سالف الأبد
وقفت فيها اصيلانا اسائلها عيت جوابا وما بالربع من أحد
ألا أوارِيُّ لأياً ما ابينها والنؤيُ كالحوض بالمظلومة الجَلَد

واهل الحجاز ينصبون (أي ينصبون أواريَّ) ومثل ذلك :

وبلـدة ليس بها انيس إلا اليعافير وإلا العيسُ[٢٦]

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ ما لهم به من علم الا اتباعُ الظن ﴾[٢٧]

ومثل ذلك قول النابغة :[٢٨]

حلفت يمينا غير ذي مثنوية ولا علم إلا حسن ظن بصاحب

وأما بنو تميم فيرفعون هذا كله »[٢٩]

ظن كما هو مشهور ومعروف تنصب مفعولين ومع ذلك نرى « الكوفيين والأخفش اجازوا الغاءها نحو ظننت زيدٌ قائمٌ برفعهما واستدلوا على ذلك بقول بعض بني فزارة : -

كذاك أدبت حتى صار من خلقي أني وجدت ملاكُ الشيمة الأدبُ

برفع ملاك على الابتدائية والأدب على الخبرية . . وقول كعب بن زهير : -

أرجو وآمل أن تدنو مودتها وما أخال لدينا منك تنويلُ

برفع تنويل على الابتدائية وخبره المجرور قبله »[٣٠]

كذلك نعرف كلنا بأنه « لايجوز الجزم بـ « أن » عند الجمهور وجوزه بعض الكوفيين : قال الرؤاس من الكوفيين فصحاء العرب ينصبون بأن وأخواتها الفعل ودونهم قوم يرفعون ودونهم قوم يجزمون وانشد على الجزم : -

احاذر ان تعلمْ فتردها (فتتركها ثقلا علي كما هيا)[٣١]

وممن حكى الجزم بها لغة : من البصريين أبو عبيدة واللحياني وزاد انها لغة بني صباح »[٣٢]

ونجد الاشارة نفسها في المغنى حيث يقول : « ذكر بعض الكوفيين وأبو عبيدة أن بعضهم يجزم بأن ونقله اللحياني عن بعض بني صباح من ضبه وانشدوا عليه قوله : [٣٣]

إذا ما غدونا قال ولدان اهلنا تعالوا إلى أن يأتنا الصيد نحطب »[٣٤]

ولم يقف المغنى عند حد الجزم بها بل أضاف إليها الرفع قائلا « وقد يرفع الفعل بعدها (أي بعد أن) كقراءة ابن محصين (لمن أراد أن يتمُّ الرضاعة)[٣٥] وقول الشاعر : [٣٦]

أن تقرآن على أسماء ويحكما مني السلام وأن لا تشعرا أحدا[٣٧]

وأما لم فالمشهور أنها جازمة ولكن صاحب المغنى يذكر بيتا مجهول القائل على رفع المضارع بعدها أي اهمالها : -

لولا فوارس من نعم واسرتهم يوم الصليفاء لم يوفون بالجار

وينقل عن ابن مالك أنها لغة[٣٨] ، ولم يكتف بذلك بل قال : [٣٩] وزعم اللحياني أن بعض العرب ينصب بها كقراءة بعضهم « ألم نشرحَ لك صدرك »[٤٠] وقول الشاعر : [٤١]

في أي يومي من الموت أفر أيوم لم يقدرَ أم يوم قُدِرِ

وكذلك قول الشاعر[٤٢]

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا

وأما لن فهي ناصبة ولكن نجد أبا حيان الأندلسي يقول :[٤٣] وذكروا أن الجزم بها لغة وانشد ابن الطراوة[٤٤]

لن يخب الآن من رجائك من حرك من دون بابك الحلقة

وقال السيوطي :[٤٥] « ذكر اللحياني أن ذلك لغة لبعض العرب يجزمون بالنواصب وينصبون بالجوازم » .

وجمع المؤنث السالم كما هو معروف أنه ينصب بالكسرة وقد جاء في شرح التصريح على التوضيح[٤٦] « وربما نصب بالفتحة على لغة كما قال أحمد بن يحيى (يقصد أبا العباس ثعلب) ان كان محذوف اللام ولم ترد إليه في الجمع كـ (سمعت لغاتهم) بفتح التاء حكاه الكسائي ورأيت بناتك بفتح التاء كما حكاه ابن سيده وكقوله : -

فلما اجتلاها بالإيام تحيَّرت ثُباتاً عليها ذلها واكتئابها[٤٧]

ثم أن هذه التوجيهات الاعرابية وتبادل الحركات الثلاث للموضع الواحد ألا يحدث بلبلة وان كان المقصود منه التوسعة في مثل قول الشاعر[٤٨]

ما تنقم الحرب العوان مني بازل عامين حديثٌ سنِّي

فقد رويت كلمة « بازل » بالرفع والجر والنصب[٤٩] .

كذلك نجد الكسائي قبل ثعلب يروي أو يجيز الحركات الثلاث في كلمة « رئمان » وذلك في مجلس الرشيد حين رد عليه الأصمعي وذلك في البيت التالي : -

أم كيف ينفع ما تعطى العَلوقَ به رئمانُ أنفٍ إذا ماضُنَّ باللبن[٥٠]

ونظير ذلك في جواز الاجوه الثلاثة[٥١] قوله تعالى : ﴿ **ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله** ﴾[٥٢]فإنه قرىء بجزم يدركه ورفعه ونصبه ،[٥٣] ونستطيع أن نتحدث عن القراءات القرآنية في هذا دون حرج بقراءاته السبع والشاذة .

وكذلك الفعل « يغتسل » في قوله صلى الله عليه وسلم : « لايبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لايجري ثم يغتسل فيه »[٥٣] حيث يجوز في « يغتسل » الجزم عطفا على يبولن لأنه مجزوم الموضع بلا التي للنهي ولكنه بني على الفتح لتوكيد النون ، ويجوز فيه الرفع على تقدير ثم هو يغتسل فيه ويجوز فيه النصب على اضمار أن واعطاء ثم حكم واو الجمع .[٥٤]

وإذا كانت الحركات الاعرابية بتداخلها وتعاورها المكان الواحد قد لعبت دورا في خلخلة القواعد الاعرابية في أذهان المتكلمين بالعربية ، كذلك نرى أن **البناء كان قرينة قوية لدى الناطقين بالعربية على أن الألفاظ يمكن أن تؤدي المعاني النحوية دون تحريك أواخرها بحركات مختلفة** ، فالكلمة المبنية خاصة إذا كانت اسما تؤدى معنى الفاعلية أو المفعولية أو الاضافة أو الاتباع دون أن نحرك ساكنا فيها أو نسكن متحركا ، وعليه امكن معرفة وظيفتها النحوية من خلال قرائن عدة يبينها أو يبين بعضها الدكتور نهاد الموسى في قوله : « والكلمات المبنية في العربية . . تشير إلى أن الذي كان يفيد المعنى النحوي (الوظيفة التركيبية) في حال الاسم المبني بالضرورة هو قرائن من النبر والتنغيم والترتيب . الخ وليس حركة الآخر »[٥٥]

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والحركة الدائبة في اتجاه التسكين لم تخمد بل إنها استفادت كما رأينا من الحركات الاعرابية في تبادل مواضعها وهو ما نستطيع أن نعتبره من الناحية الأخرى سبيلا للتوسعة والتخفيف ، وكذلك كان البناء عنصرا فعالا في الاتجاه نفسه ، **وأما الوقف فهو أبرز ظاهرة ، بل هو علامة مميزة ومعلم كبير على طريق تسكين أواخر الكلم في العربية** ، فإذا كان البناء هو التزام حركة واحدة لكل مبنى أو اثبات المبنى على حركة واحدة في آخره لايتجاوزها ولا يستبدل بها شيئا **فإن الوقف هو بداية التخلي عن الحركات** أو هو الحفرة التي تسقط فيها الحركات استعدادا لدفنها فيما بعد .

والوقف حركة لها جذور وشواهده كثيرة نستمدها من أقوال العرب

واشعارهم وقراءاتهم ونفتح كتاب سيبويه فنجد أنه قد تكلم عن الوقف ومن القواعد التي قررها في هذا المجال استنادا إلى أقوال العرب جواز نقل حركة الحرف الأخير سواء أكان مجرورا أم مرفوعا إلى الساكن قبله حيث يقول « الساكن الذي يكون قبل آخر الحروف فيحرك لكراهيتهم التقاء الساكنين وذلك قول بعض العرب هذا بَكُر ومِن بَكِر . . ومن ثم قال الراجز من بعض السعديين :

أنا ابن ماوية إذ جد النَّقُرْ أراد النَّقْرُ(٥٦)

وهذه الظاهرة نجد لها شبيها في اللهجة الفلسطينية الدارجة حيث يقول الناس : ـ

راحْ سَعِد
وأَجا نَصِر
وفاض النَّهِر
عندُو صَبِر ، عضُّو الكَلِب(٥٧)
أو في أَكِل ، وهاظا دَرِس مش رايح تنساه

وهكذا نتبين استمرار هذه الظاهرة ، وبقاءها حية في اللهجات الحديثة ، وبذلك يظهر لنا أثر الوقف الذي كان يقصد منه التخفيف وحملته الأجيال ليصبح عادة لغوية راسخة في البيئات العربية .

وفي موضع آخر يجيز سيبويه حذف حركة الهاء (ضمير المذكر) وتحريك الساكن قبله في قوله : « الساكن الذي تحركه في الوقف إذا كان بعده هاء المذكر الذي هو علامة الاضمار ليكون أبين لها . . وذلك قولك ضربتُهْ واضربُهْ ومنُهْ وعنُهْ سمعنا ذلك من العرب قال الشاعر وهو زياد الأعجم من عبد القيس :

عجبت والدهر كثير عجبُهْ من عنزيٍّ سبني لم أضربُهْ(٥٨)

وهذه ظاهرة لهجية مازالت باقية ومستمرة في لهجة فلسطين العربية واستطيع أن أقول في بلاد الشام كلها ولكن دخل عليها شيء من التطوير فهذه الهاء لم يعد لها وجود تقريبا حيث مدت الضمة لتصبح واوا خاصة في الجملة الطلبية : ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قَتَلُو ،[٥٩] اقتلو
مَسَكُو ، إِمْسِكُو
شافو[٦٠] ، شُوفُو
اللي مِنُّو أَخيَر مِنُّو او أحسنْ مِنُّو
فِكْ عَنُّو . أَرْضُو كَبيرِه

ويبدو أن هذا التطور لم يحصل في العربية فقط وإنما حصل ما يماثله في العبرية .

حيث يقول الدكتور محمد بحر عبد المجيد عن هذه الظاهرة : ـ

« واتخذت العبرية هاء مضمومة (הֹ) للدلالة على الغائب لكن يظهر من الضمير الضمة الممالة (הֹ) وهذه تطورت عن هاء مضمومة (تماما كالعربية الفلسطينية) أي أن الضمير في العبرية كان كالعربية . ويشبه هذا التطور ما حدث في بعض اللهجات العربية »[٦١]

وقال ابن جني في الخصائص في باب تعارض السماع والقياس . . عن بيت الشماخ :

لـه زجـل كـأنـه صـوت حـاد إذا طـلب الـوسيـقـة أو زمـيرُ[٦٢]

بحذف الواو وتبقية الضمة على الهاء في « كأنهُ » : « أنه ليس على حد الوصل ولا على حد الوقف . . حيث ضم الهاء بغير واو منزلة بين منزلتي الوصل والوقف »[٦٣]

وقول ابن جني يعني أول ما يعني أن حركة الضم قد اختلست ، **واختلاس الحركات يمثل في رأيي خطوة أولى نحو الانفلات من الحركة نفسها أو اهمالها** اكتفاء بحركة ما قبلها ، وهذا ما حصل فعلا حيث بدأ البحث في لغات العرب ولهجات القبائل عما يؤيد مثلا قراءة ابن عمرو بن العلاء للآيات التالية : ـ ﴿ **فتوبوا إلى بارئكُم** ﴾[٦٤] ، ﴿ **ان الله يأمـرُكُم** ﴾ . . »[٦٥] ﴿ **فمن ذا الذي ينصـرُكُم من بعده** »[٦٦] وتصدى أبو حيان الأندلسي للدفاع عن هذه القراءة التي قرر فيها أن أبا عمرو قد سكنها وأصبح التسكين في نظره حقيقة ، لايمكن ردها وأخذ ينافح عنها بكل ما أوتي من قوة مع أن أبا عمرو لم يسكن الحركة بل اختلسها ويشهد لذلك ما

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أورده ابن مجاهد [٦٧]: « كان ابو عمرو يختلس الحركة من (بارئكم) . و (يأمركم) وما أشبه ذلك مما تتوالى فيه الحركات فَيُرِي من سمعه أنه قد أسكن ، ولم يكن يسكن وأنه كان (أبو عمرو) يقرأ (ويعلمهم الكتاب)[٦٨] و (يلعنهم اللاعنون)[٦٩] يُشِم الميم من يعلمهم والنون من يلعنهم اللتين قبل الهاء الضمَّ من غير إشباع »ونجد عند ابن خالويه ما يؤيد ذلك « إن أبا عمرو كان يميل إلى التخفيف فيرى من سمعه يختلس بسرعة أنه أسكن »[٧٠]

قلت ان أبا حيان تبنى الدفاع عن قراءة ابي عمرو ولديه سند وحجة من اللغة ولهجات القبائل وما أريدُ أن أقوله من خلال ما أوردته عن ابن مجاهد وابن خالويه وما سأورده من كلام أبي حيان أن **الاختلاس كان مقدمة للتسكين** فأبو حيان يقول في توجيه قراءة أبي عمرو : « وروى عن أبي عمرو الاختلاس وروى عنه الاسكان وذلك اجراء للمنفصل من كلمتين مجرى المتصل من كلمة[٧١] ويقول في موضع آخر : « وقد روى الكسائي أن لغة عقيل وكلاب أنهم يختلسون الحركة في الهاء إذا كانت بعد متحرك وأنهم يسكنون أيضا »[٧٢] وفي موضع آخر ينسى حكاية الاختلاس تماما ليحل التسكين محله إذ يقول : « وذكر أبو عمرو أن لغة تميم تسكين المرفوع من يعلمهم ونحوه »[٧٣] وهكذا **سار الأمر من اختلاس إلى اختلاس وتسكين ثم إلى تسكين فقط** ويفزع أبو حيان إلى كتب اللغة واشعار العرب ليعزز قوله في رده على المبرد حين لحّن أبا عمرو في قراءته حيث يقول : -

« ومنع المبرد التسكين في حركة الاعراب وزعم أن قراءة أبي عمرو لحن وما ذهب إليه ليس بشيء ، لأن أبا عمرو لم يقرأ إلا بأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولغة العرب توافقه على ذلك فأفكار المبرد لذلك منكر »[٧٤] وبعد ذلك يستشهد بقول امرىء القيس :[٧٥]

فاليوم اشربْ غير مستحقب اثما من الله ولا واغل

وقول جرير :[٧٦]

سيروا بني العم فالأهواز منزلكم ونهر تيري فلا تعرفْكم العرب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا اعتراض لنا على كلام أبي حيان لأن له سندا وحجة من لهجات العرب التي ظهرت على ألسنة شعرائها ولكن ما أود الاشارة إليه أن المبرد في تشدده والتزامه حدودا معينة في اللغة أثبت أنه كان لديه بعد نظر فمثل هذا التسكين الذي كان يجري على الألسنة في استحياء إذا كان محصورا تنظمه قاعدة هنا أو هناك في مثل الوقوف على الهاء الأخيرة المسبوقة بحركة نحو « . . نولِّهْ ما تولى ونصِلهْ جهنم »[٧٧] وهو ما يتوافق مع ما قرره سيبويه آنفا في مثل عَجَبُهْ وضرَبُه نراه قد جاوز الحد واحتل مكان الحركة الاعرابية في قراءة أبي عمرو الآنفة الذكر التي جهد بعض العلماء في استحضار الشواهد لها من أشعار العرب كما فعل سيبويه مثلا في كتابه[٧٨] وأبو حيان في بحره المحيط وهذه الشواهد تدل بوضوح على بوادر الاستغناء عن الاعراب وكان استاذنا الدكتور عبد المجيد عابدين محقا حين قال : والراجح لدينا ان اللهجات العربية منذ زمان قديم استغنت عن الاعراب كذلك وربما كانت لهجات البوادي في الجزيرة العربية وعت قدرا من هذه البقايا أكثر مما وعته تلك التي عاشت في الحواضر أو اتصلت بها »[٧٩] وقد رأينا آنفا أن الكسائي قد روى عن عقيل وكلاب أنهم يسكنون ، وروى أبو عمرو أن لغة تميم كذلك وكلها قبائل لاتسكن الحواضر في وسط الجزيرة وشرقها وعلينا ان نقول أنها سكنت نجد على اختلاف مواقعها فيها . وخطر ما أورده سيبويه أو ما رواه الكسائي وما سجله أبو حيان في أنه فتح الباب للنحاة لمناقشة جواز حذف الحركة ، وكأن التسكين قد أصبح حقيقة لاتقبل الجدل وأصبح له من القوة والسيطرة ما يستطيع بهما ابتلاع الحركة وطمس معالمها على ألسنة الناطقين . وفي الهمع نجد السيوطي يقول : اختلف في جواز حذف الحركة الظاهرة من الأسماء والأفعال الصحيحة على أقوال أحدها الجواز مطلقا وعليه ابن مالك والمنع مطلقا في الشعر وغيره وعليه المبرد »[٨٠] والنص لا يحتاج إلى تعليق فالتجويز من قبل بعض النحاة رخصة وحجة للناطقين ومبرر لتجاوزاتهم وتخطيهم قوانين اللغة وقواعدها فاستغنت اللهجات عن الحركات .

وأما **الوقف على الاسم المنون** فكان يكفي ما نقله الأزهري ليتجرأ الناطقون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على الحركة ويتخلوا عنها إذ يقول : « للعرب فيه ثلاث لغات حذف التنوين مطلقا والوقف بالسكون مطلقا وهو لغة ربيعة »[٨١] فلذا كانت ربيعة منذ القدم تغفل التنوين وتستبدل به التسكين فما يعيقنا في وقتنا الحاضر أن نطرح التنوين إذا كنا قد طرحنا الحركة مطلقا .

وهكذا وصلنا إلى النتيجة المحتومة والمنطقية مع الاحداث والشواهد والأحوال التي سردناها وهي اطراح النظام الاعرابي الذي اضطرب وتخلخل واهتزت صورته أمامنا فلم تعد تتقيد به ألسنتنا التي طاب لها التسكين وأصبح في لهجاتنا الدارجة هو الأصل .

وخلاصة ما سبق أن ظاهرة الاعراب سامية الأصل ، غير أن ما حدث من تطورات لها عبر القرون قد أدى إلى التخفيف من الاعراب في معظم اللغات السامية على النحو الذي وصفناه .

ولكن بم استعاضت اللهجات الحديثة لتصوير المعاني بعد أن طرحت الاعراب جانبا ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا هو السؤال الذي سنحاول الاجابة عليه فيما يلي : ـ

إذا كانت الحركة في الفصحى هي العلامة المادية التي تبين العلاقات النحوية في التركيب اللغوي لارتباطها بمواقع معينة ، فإن اللهجات العربية الحديثة قد لجأت إلى وسائل أخرى لبيان العلاقات النحوية في الحدث اللغوي لتعيين المقصود وقد طرق ڤندريس مثل هذا الحديث حين قال : « والانفعالية في اللغة تعبر عن نفسها على وجه العموم بصورتين : باختيار الكلمات وبالمكان الذي يخصص لها في الجملة يعني أن معيني اللغة الانفعالية الأساسيين هما المفردات والتنظيم »[٨٢] وما اللغة الانفعالية إلا صورة من مجالات استخدام اللغة أو اللهجة تتألف عادة من كلام يشبه الجملة من حيث استقلاله بذاته في المعنى ولكنه في بنائه الظاهر لا يؤلف جملة اسنادية في أغلب الحالات ، ومن خلال حديث ڤندريس نفهم أن لغة الحديث

العامية تستغني عن الحركات الاعرابية وتحمل المفردات وتنظيمها مسئولية التعبير عن المعنى المقصود .

وإذا كانت المفردات في الفصحى « تتذرع بوسيلتين هامتين لاظهار وظائفها هما : الموقعية والحركية[٨٣] فإن لهجة الحديث العامية الفلسطينية كغيرها من اللهجات العربية الحديثة قد تخلت عن الحركية في بيان الوظائف النحوية للمفردات ومعرفة علاقة كل كلمة بسواها واتخذت **الموقعية أو التنظيم الخاص لمفرداتها وسيلة للابانة والافهام** خاصة حين يراد تمييز الفاعل من المفعول به ، ومن أجل ذلك نرى العامية قد قبلت النظام الفعلي أو نظام الجملة الفعلية في العربية إذ جعلت الفاعل **يتقدم على الفعل ويأتي المفعول به بعد الفعل** ، وما ذلك إلا لبيان أن المتقدم على الفعل إنما هو الفاعل ، وما تأخر عن الفعل فالمفعول به وذلك لانعدام الحركات العربية التي تميز الصفات النحوية مهما كان موقع الكلمة .

والأمثلة من العامية الفلسطينية كالتالي : ـ

ـ محمود شافْ علي فِ نابلس (رأى محمود عليا في نابلس)
ـ فُخَّارْ إكَسِّرْ بعضُو (يكسر الفخار بعضه بعضا)
ـ فلان بِحِبْ الكُبْرَهْ (يحب فلان الكبرياء)
ـ أِمِّ لْسانْ غَلْبَتْ إمِّ فعَال (صاحبة اللسان علنت صاحبة الأفعال)
ـ لْبلاد طَلْبَتْ أَهِلْهَا (طلبت البلاد أهلها)

ونجد مثل هذا الأسلوب أيضا في المعاني التي يؤمن فيها اللبس نحو :

ـ السَّيَّارَهْ هَدَّت الحِيطْ (هدمت السيارة الحائط)
ـ الشاطر يِقْرَ دْرُوسُو أَوَّلْ بَوَّلْ (يقرأ الشاطر دروسه أولا بأول)
ـ اخوك حَصَدْ الزَّرْعَاتْ وِنْتَ قاعِد تِتْفَرَّجْ (حصد أخوك الزرع وأنت تتفرج)

وأحيانا نجدهم يدخلون « اللام » على المفعول به كقول أحدهم : ـ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ رَوْحُ لَلْوَلَدْ عَ بِيْتْهُمْ (اذهب بالولد إلى بيتهم) .
ـ لِيش ضَرَبْتُ لَخُوك ؟ (لم ضربت أخاك ؟)
ـ إِسْمِعِتْ لَخُوكْ شو بِقُول (اسمعت أخاك ماذا يقول)
ـ شو فَطَّرْتُوه لَضَيْفْكُم ؟ (ماذا فطرتم ضيفكم) .

وأكثر ما نلاحظ هذا الأسلوب أي ادخال حرف الجر (اللام) على المفعول به في شمال فلسطين ويبدو أن العامية الفلسطينية تأثرت بالسريانية أو أنها تأثرت بمن تأثروا بالسريانية في هذا الأسلوب حيث يقول الدكتور فريحة : « أثر السريانية واضح في عربية سوريا ولبنان المحلية وهذا أمر طبيعي فعندما يقول اللبناني أو السوري أو العراقي « شفتو لأخوك أو لْخَيَّك » فإنهم يتكلمون لهجة مفرداتها عربية ولكن تراكيبها سريانية فصيحة . . وقد نبه أكثر من مستشرق إلى أثر السريانية في اللهجة اللبنانية السورية العربية »[٨٤] وبامكاننا أن نضيف اللهجة الفلسطينية لأن هذا الأسلوب تعرفه العامية الفلسطينية خاصة ، كما قلت : شمال فلسطين حيث تأثرهم أكبر لقربهم من لبنان ومما يقوي هذا الاستنتاج أن يوهان فك يقول : « فادخال لام الجر على المفعول به . . . قد لجأت إليه أقدم النصوص النصرانية العربية في سورية وفلسطين »[٨٥] .

ومما يجدر تسجيله **أن تقديم الفاعل على الفعل** ليصبح في مطلع الجملة والمفعول يتلو الفعل وبعبارة أخرى أن يتوسط الفعل بينهما **صار ظاهرة عامة تشترك في كثير من اللهجات العربية الحديثة ان لم تكن كلها** وهذا يسند قول يوهان فك : « ان الصفة النحوية ، في الاحساس اللغوي الحديث ، قد صارت موقوفة على علاقات مواضع الكلمات ، لا اعرابها[٨٦] ونبدأ باللهجة السودانية التي يقول فيها الدكتور عبد المجيد عابدين « آثرت تقديم الفاعل على الفعل الماضي والمضارع ووضعت الفعل وسطا يفصل بين الفاعل والمفعول . . »[٨٧] ويمثل لذلك بقولهم :

اَخْدَ التَّار ينفى العار

واللهجة العربية في مصر لا تبعد عن ذلك بل تأخذ بهذا القالب التعبيري

وتجدد كغيرها من اللهجات العربية في مواقع الكلمات كالذي رأيناه في اللهجتين الفلسطينية والسودانية كقولهم : -

السّت خَدِتْ نَصِبْهَا من المراث (أخذت السيدة نصيبها من الميراث)
الحرامي خَدْ جَزاه (أخذ الحرامي جزاءه)
العَرَبِية ضَرَبِتْ الواد (ضربت السيارة الولد)

وكذلك البدو في الساحل الشمالي لمصر خاصة غربي الاسكندرية أخذت لهجتهم بهذا النهج فنجدهم يقولون مثلا كما نقله إلينا الدكتور عبد العزيز مطر :(٨٨)

ـ بوي خَدَم الحُكُومَهْ واجِد (خدم أبي الحكومة كثيرا)
ـ الراجِل يِشرَبْ شِيهِي (يشرب الرجل شايا)

وفي ليبيا يتعاملون بهذا الأسلوب في لهجتهم خاصة المناطق الشرقية حيث لهجتهم العربية قريبة جدا من لهجة الساحل الشمالي الغربي لمصر فنجدهم يقولون :

ـ لِعْوِيلَهْ يِبُّوا كُورِتْهُمْ (يبغي الأولاد كرتهم)

وأما اللهجة العربية في الخليج العربي فيسبق المسند إليه عادة الفعل في الجمل الفعلية(٨٩) فنجدهم يقولون :

راع لِبِيتْ يِختار خَرِيطَه (يختار راعي البيت خريطة)
السَّيَّارة ادْعَمَتْ الطُّوفَهْ (صدمت السيارة الحائط)

وفي اللهجة الفلسطينية **لا يكتفون أحيانا بتقديم الفاعل وإنما يذكرون بعده ضميرا واسم الموصول اللي ثم الفعل والمفعول** خاصة حينما يقررون حقيقة أو يردون على استفسار نحو :

المُوْجْ هُوَّ اللي بِنَظِّفْ البَحَرْ (ينظف الموج البحر)
الأَدَمِهْ هِيَّ اللي بِتْخَلِّ الناسْ يِحْتِرْمُوكْ (تجعل الاخلاق الحسنة الناس يحترمونك)

أَبُوك وِمَّكْ هُمِّ اللي خَلُّوك بني آدَم (جعلك أمك وأبوك انسانا محترما)
لِوْلادْ الزَّغَارْ هُمِّ اللي يَلعُوا الشَّتِلْ (خلع الأولاد الصغار الشتلات) .

ونجد الأسلوب التالي يتكرر كثيرا في العامية الفلسطينية أي أنهم يقدمون المفعول به وبعده الفعل ، مع ضمير يعود على هذا المفعول ، ثم الفاعل كقولهم : -

مَيَّهْ الحِمَّهْ سَحَبوها اليهود عَ النَّقب (سحب اليهود ماء الحمة إلى النقب)
أَبُوك قَتَلوا فلان لِفْلاني (قتل فلان الفلاني أباك)
المصاري يِقْسِمُوها عَ طول السَّنِهْ (يقسمون الفلوس على مدار العام)

وهذا التغيير في موقع الفاعل أو المفعول به في اللهجة الفلسطينية وبقاء الفعل في الوسط نجد له نظيرا في اللغة الفرنسية وهي لغة غير اعرابية أو سامية فالفعل فيها يظل متوسطا سواء تقدم عليه الفاعل أو المفعول يقول ريمون طحان : « يترابط سياق بعض اللغات بموجب مواقع مفرداتها وتتغير وظائف اسمائها ، دون أن تظهر عليها علامات الاعراب : Pierre Frappe Paul, Paul Frappe Pierre ويختل معنى التركيب الفرنسي إذا رصفت مفرداته دون مراعاة قواعد الموقعية[٩٠] ولعلنا نجد هذا المنهج في الألمانية أكثر وضوحا أو تحديدا حيث يقول قُندريس « في الألمانية ، الفعل في الجملة الرئيسية يشغل المحل الثاني دائما أما المسند إليه والمفعول فيمكن وضعهما قبله أو بعده وفقا لرغبة المتكلم فيقال : -

der wolf lebt im walde (الذئب يعيش في الغابة)

أو Im wald lebt der wolf (في الغابة يعيش الذئب) .

وهكذا عينت الألمانية للفعل مكانا وتصرفت في مواضع الكلمات الأخرى »[٩١] وهذا ما حصل بالنسبة للهجة العامية الفلسطينية فقد رأيناها آنفا توسط الفعل وتقدم الفاعل عليه مرة والمفعول به مرة أخرى والعامية الفلسطينية كما قلنا تلحق الفعل ضميرا يعود على المتقدم خاصة المفعول به .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والانجليزية ، في حدود فهمي ، تخصص مكانا ثابتا للفعل يسبقه المسند إليه ويتلوه المفعول به في الجملة المبنية للمعلوم .

وفي حالة البناء للمجهول يتقدم المفعول به ولكن الفعل يظل ثابتا في مكانه فيقال : The book was taken by him .

وإذا كان تغيير مواقع الكلمات يبين الصفة النحوية لها فإن التنغيم يؤدي دورا على مستوى الأساليب فقد يميز الأستفهام من التعجب .

الهوامش

(١) العربية : يوهان فك : ص٣

(٢) تاريخ اللغات السامية : ولفنستون : ص ١٥

(٣) في محاضراته التي طبعت تحت عنوان "التطور النحوي للغة العربية" ص ٦٠ من المحاضرات المخطوطة بالآلة الكاتبة .

(٤) من أسرار اللغة : ص ١٣٠

(٥) ينقل يوهان فك طرفا منها كقولهم : مكره أخاك لابطل . ذهبت إلى أبو زيد ، ورأيت أبو عمرو ، ويقومون البنين : ص ١٠٦ وفي اخبار النحويين لابن أبي هاشم المقرىء : توفي أبانا فترك بنون ، ص ٢٢ ابدأ بيداك ورجلاك : ص ٢٩ ومن بنو عبد الدار ص ٣٠ .

(٦) انظر كتاب سيبويه : ١/٢٨

(٧) المرجع السابق : ١/٧٣

(٨) السابق ١/٧٣ ، وتجده أيضا في المقتضب ٤/١٠١ والمغنى ١/٣٢٧ . والهمع ١/١١١

(٩) كتاب سيبويه ١/٧٣

(١٠) الرماح بن ابرد : معجم شواهد العربية : ١/١٣٧

(١١) الكتاب ١/١٩٢ - ١٩٣

(١٢) شرح التصريح على التوضيح ١/٢٦٩

(١٣) انظر حاشية الشيخ يسن بن زين الدين العليمي الحمصي على شرح التصريح : ١/٢٦٩

(١٤) ٣٧ - سورة يوسف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١٥) شرح المفصل : ١٠٤/١

(١٦) المرجع السابق ، الصفحة نفسها : انظر الديوان : ص ٣٩٢ / ملحقات الديوان

(١٧) شرح المفصل : ١٠٤/١ وينسبه الجمحى في طبقاته ٧٨/١ للعجاج قال : وهي لغة لهم سمعت أبا عون الحرماني يقول : ليت أباك منطلقا وليت زيدا قاعدا . بلغني أن منشأه عندهم فأخذها عنهم ، انظر شواهد المغني للسيوطي ٦٩٠/٢

(١٨) المغني ٣٦/١ وغير موجود في الديوان

(١٩) شواهد المغنى ٥١٥/٢

(٢٠) الديوان : ص ٤٣٣

(٢١) الهمع : ١٣٤/١

(٢٢) المرجع السابق : ٣٣/٢ ، البحر المحيط : ٩٣/١

(٢٣) هو كعب بن سعد الغنوي في رثاء أخيه أبي المغوار : انظر المغنى ٣١٧/١ وشرح شواهد ابن عقيل للجرجاوي : ١٣٩ وكذلك شواهد المغني للسيوطي ٦٩١/٢

(٢٤) انظر المغنى ٣١٨/١

(٢٥) الديوان : ص ٢٥ وفي الديوان الأواريّ

(٢٦) رجز لجران العود : ص ٥٢ من الديوان وفيه بسابس بدلا من بلدة

(٢٧) ١٥٧ ـ سورة النساء .

(٢٨) الديوان ٠ ص ٩

(٢٩) كتاب سيبويه : ٣٦٣/١ ـ ٣٦٥ ، شرح المفصل ٨٠/٢ المقتضب ٤١٤/٤

(٣٠) شرح التصريح على التوضيح ٢٥٨/١

(٣١) جميل بثينة : ديوان ص ٢٣٤

(٣٢) الهمع ٢/ص ٣

(٣٣) قائله امرؤ القيس : الديوان : ٥٣ ورواية الديوان : إلى أن يأتي الصيد

(٣٤) انظر المغنى : ٢٧/١ ، ٢٨

(٣٥) ٢٣٣ ـ سورة البقرة

(٣٦) مجهول القائل وقال السيوطي في شرح شواهد المغنى لم يسم قائله وانشد بيتين قبله :

يا صاحبي فدت نفسي نفوسكما وحيثما كنتما لاقيتما رشدا

أن تحملا حاجة لي خف محملها تستوجبا نعمة عندي بها ويدا

(٣٧) المغنى : ٢٨/١

(٣٨) المرجع السابق : ٣٠٧/١

(٣٩) المرجع نفسه

(٤٠) ١ ـ سور الانشراح

(٤١) البيت للحارث بن منذر الجرمي : شرح شواهد المغنى للسيوطي : ٦٧٤/٢

(٤٢) قائله : عبد يغوث بن وقاص الحارثي . المرجع السابق ٦٧٥/٢ ٤

(٤٣) البحر المحيط : ١٠٢/١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٤٤) البيت لاعرابي قاله في مدح الحسن بن علي بن أبي طالب والكسرة للتخلص من الساكنين : شرح شواهد المغنى ٢/٦٨٨

(٤٥) في شرح شواهد المغنى : ٢/٦٨٩

(٤٦) ١/٨٠

(٤٧) البيت لأبي ذؤيب الهذلي : رواه في اللسان مادة « أيم » ١/١٩٢ تحيَّزت ثباتٍ وليس تحيرت ثباتا والإيّام هو الدخان والثبات هي الجماعات (لسان العرب ـ تحقيق عبدالله الكبير وزملائه . دار المعارف ١٩٨١ والبيت في ديوان الهذليين ١/٧٩ : ثُباتٍ

(٤٨) نسبته في اللسان إلى أبي جهل بن هشام نقلا عن ابن سيده : انظر مادة « بزل » ١/٢٧٦ (طبعة دار المعارف) .

(٤٩) انظر المغنى : ١/٤٦ حيث قال ثعلب ردا على سؤال الرياشي يروى البيت بالرفع على الاستئناف وبالخفض على الاتباع وبالنصب على الحال .

(٥٠) انظر المغنى : ١/٤٥ حيث نجد أن الرفع على أساس البدلية من ما والنصب بتعطي والجر على البدل من الهاء . وقائل البيت كما جاء في شرح شواهد المغنى للسيوطي هو : افنون التغلبي : انظر ١/١٤٥ : والبيت السابق له :

أنى جزوا عامرا سوأى بفعلهم .. أم كيف يجزونني السُّوأى من الحُسن

والعلوق الناقة التي تعطف على غير ولدها ولكنها تمنعه اللبن . والرئمان من قولهم رئمت الناقة ولدها رئمانا إذا أحبته وحنت عليه .

(٥١) انظر شواهد التوضيح والتصحيح لابن مالك ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥

(٥٢) ١٠٠ النساء .

(٥٣) أخرجه البخارى في / كتاب الوضوء / باب الماء الدائم

(٥٤) انظر شواهد التوضيح والتصحيح : ص ١٦٢ ـ ١٦٤ .

(٥٥) في تاريخ العربية : ص ١٢٠ : يجدر أن أذكر هنا أنه بعد اطلاعي على كتاب « في تاريخ العربية » وجدت أن الدكتور نهاد الموسى قد عالج كثيرا مما سقته من أفكار أو نظرات في هذا المبحث ولكن أغلب الشواهد تختلف عما أورده .

(٥٦) انظر الكتاب : ٢/٢٨٣ ـ ٢٨٤ .

(٥٧) الكاف تلفظ في بعض المناطق الريفية الفلسطينية أقرب إلى الشين أو لفظ ch في الانجليزية أو بالأحرى (تش) فتكون الجملة عضه الكلب وتكتب گـ .

(٥٨) الكتاب ٢/٢٨٦ ـ ٢٨٧

(٥٩) القاف في اللهجة الفلسطينية قد تلفظ في بعض مناطق الريف أقرب إلى الكاف وتكتب ڤ وفي مناطق أخرى تنطق مثل g في مثل good وتكتب ڤ .

وقد تنطق همزة خاصة في المدن وتكتب ئ وفي قرى شمال فلسطين نجدهم يلفظونها مقلقلة وتكتب ق .

(٦٠) بمعنى رآه . (٦١) بين العربية ولهجاتها والعبرية : ص ٩٩

(٦٢) الديوان : ٣٦ ، الكتاب ١/١١ . ورواية الديوان : له زجل تقول أصوّتُ حادٍ / دون كأن .

(٦٣) انظر الخصائص : ١/١٢٧ ـ ١٢٨

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٦٤) ٤٥ ـ البقرة .

(٦٥) ٦٧ ـ البقرة .

(٦٦) ١٦٠ ـ آل عمران .

(٦٧) كتاب السبعة في القراءات : تحقيق د. شوقي ضيف : ١٥٥ ـ ١٥٦

(٦٨) ١٢٩ ـ البقرة .

(٦٩) ١٥٩ ـ البقرة والاشمام كما هو معروف هو الرمز إلى الحركة بالشفتين وانظر العكبرى املاء ما منّ به الرحمن ١/٣٧ حيث ينقل : « إن الراوي لم يضبط عن أبي عمرو لأن أبا عمرو اختلس الحركة فظن السامع أنه سكن » .

(٧٠) الحجة في القراءات السبع ، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم : ص ٨٧

(٧١) البحر المحيط : ١/٢٠٦

(٧٢) المرجع السابق : ٢/٤٩٩

(٧٣) المرجع السابق ٢/١٨٨ ، ١/٢٠٦ وفي ص ٧١ من الجزء الثالث من البحر المحيط يقول :[1] ان اختلاس الضمة والكسرة بعد متحرك لغة حكاها الكسائي عن بني عقيل وبني كلاب قال الكسائي سمعت اعراب كلاب وعقيل يقولون أن الانسان لربه لكفور (٦ ـ العاديات) بغير تمام » .

(٧٤) المرجع السابق : ١/٢٠٦

(٧٥) كتاب سيبويه : ٢/٧ ٢٩ انظر الديوان : ص ١٧٣

(٧٦) انظر الديوان : ص ٤٨

(٧٧) ١١٥ ـ النساء .

(٧٨) ٢/٢٩٧ حيث ساق الشواهد على التسكين .

(٧٩) من أصول اللهجات العربية في السودان : ص ٨٧ ـ ٨٨

(٨٠) الهمع ١/٥٤

(٨١) شرح التصريح على التوضيح : ٢/٣٤١

(٨٢) اللغة : ص ١٨٦

(٨٣) ريمون طحان ، الألسنية العربية ٢ : ص ١١

(٨٤) محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها : د. أنيس فريحة : ص ٥٠

(٨٥) العربية ص ١٠٧

(٨٦) المرجع السابق : ص ١٠٦

(٨٧) من أصول اللهجات العربية في السودان : ص ٨٩

(٨٨) انظر كتابه : لهجة البدو في الساحل الشمالي لجمهورية مصر العربية ص ١٧٥ ، ص ١٧٧ وغيرهما .

(٨٩) انظر : دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية : ت م جونستون ترجمة وتعليق الدكتور أحمدمحمد الضبيب ، ص ٢٨٩ ، ص ٣٠٢ ، ص ٣٢٥ وغيرها .

(٩٠) الألسنية العربية ٢ : ص ١١

(٩١) اللغة : ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العُمر وأناشيد الغُربة

شعر: محمد هاشم زقالي

ـ اســـوان ـ

(وحيداً حزيناً أواجه عينيك إذْ تسألان الفرح
وإذ ترفعان إلى مقلتي حباب الشجى واخضرار القدح)
بقلـــبي ..
وقد باغتته الليالي بسهم خؤون على غرة فانجرح ..
أواجه عينيك إذْ تسألان النشيد ..
ووجه تبدى بأفق الغيوم ..
يحاور عند التخوم النجوم ..
وكفٌ تلـــم النزيف ..
وريحٌ تزف العزيف ..
مصرصرة فـــي الدجى ..

(٢)

فلا تسألوني بأي المزامير اتلو النشيد ..
فكل الحروف جراح ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكل السطور رماح ..
وكل الغنـــاء بكـــاء ..

(٣)

فلا تسألوني إذا ما الليالي تبدت دروباً بلا منتهى ..
وتاهت خطى العمر فوق الطريق ..
وشب الحريق بقلـــبي ..
وفارت مواقده واستعر ..
وجَفَّ الرحيقُ بكفِ القدر ..
فلا تسألوني ..
فهذا طريق الرحيل الطويل ..
وهذا جواد السفر ..
نحيـــل عليـــل ..
وَسقْتُ من الشعر بعض الطروح ..
وسمتُ فؤادي به فانكوى ..
لعلي أُضَمِّدُ بعض الجروح ..
فجود الرواعد تنأى بعيداً ..
تفر من الموت إذْ يشرئب ..
و يأتى على خيله النافغات ..
يُقَطِّعُ في كل صبحٍ جديدٍ ..
شـــرايين قلـــبي ..
و يقطف أغلى ثمار الحديقه ..

(٤)

فلا تسألوني بأي المفاوز تمضي خيولي ..
ولا تسألوني بأي الوهاد تدق طبولي ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فبابي قناديله مُطفـآت ..
وحزني قناديله مسرجه ..
وخيلي تناوشها في القفار ..
ذئـابُ الطـريق ..
وصهـدُ الحريق ..
وزهري الذي كان فوق النوافذ ..
تبدى كعصف اقالته ريحُ الخماسين غصبا ..
وقد كان شعراً وعصراً وتمراً ..
وقد كـان قضبـاً ..

(٥)

وحيداً حزيناً أفتّشُ بين السطور ..
انقّبُ بين الروابى تبسم ثغرك ..
(وحيداً حزيناً أواجه كفك حين تمد الى ..
لترفعني من رماد الرماد الى حمرة الشفق الشاعري)
تَسَمَّعْتُ صوتك في سدرة المنتهى ..
يموجُ اخضراراً على دربك العبقري ..
رَهَوْتُ إذا البدرُ شَقّ الغمام ..
وحيداً لتأخذني من حضيض الاسى ..
وتورقني في طريق المسيرة نبتاً جديداً ..
ففي الظُّلِمَ الحالكات بصيص ..
من النور يأتي وئيداً وئيدا ..
وفي الرعد بعضٌ من الدمدمات ..
وفي البرق بعضٌ من الزمزمات ..
وفي الكأس ثم رحيق ..

نظرة في قرينة الإعراب

في الدراسات النحوية القديمة والحديثة

تأليف : د. محمد صلاح الدين بكر
عرض : أبو أوس إبراهيم الشمسان

جامعة الملك سعود - الرياض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العمل الجيد والجاد قد يثيرة القارىء فيدفعه إلى إلقاء الأسئلة ، وربما الجدل في موضوعه ، ومراجعة صاحبه .

خطر لي هذا وأنا أقرأ الحولية الخامسة (١٩٨٤) من حوليات كلية الآداب بجامعة الكويت ، وهي الرسالة العشرون من هذه الحوليات .

وإني أشكر للدكتور محمد صلاح الدين بكر هذه المحاولة ، وأكبر فيه

الإقدام على دراسة قضية من أهم قضايا الدرس النحوي .

وسوف أحاول في هذه السطور أن أعرض لما جاء في هذه الحولية مبديا بعض الملاحظات التي أثارها وحفز إليها العمل .

يعد عنوان الرسالة المذكور أعلاه بالاتصال بالدراسات النحوية القديمة والحديثة ، ولكن الذي يقرأ الكتاب وينظر في قائمة المراجع والمصادر يجد أن طائفة كبيرة من أمهات الدراسات ـ إن جاز لنا تسميتها دراسات ـ قد أغفلت .

وعلى الرغم من حداثة مصطلح « قرينة الإعراب » فإن المؤلف لا يقدم بين يدي دراسته ما يبين سبب استخدامه له ولا ما يقابله في التراث إن وجد ، واستخدامه في العنوان قد يوهم أنه مصطلح تراثي ، وأن مفهوم المصطلح مستخدم في التراث ، وهذه قضية كانت تحتاج منه إلى وقفة .

وتزيد حيرة القارىء مع السطور الأولى حيث نجده يقول : « لم تحظ مسألة من مسائل النحو العربي باهتمام الدارسين والباحثين كما حظيت قرينة الإعراب ، ولا استحوذ على فكرهم نظرية أخرى كما استحوذت نظرية الاعراب » ص ٩ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فإذا تجاوزنا المبالغة في القول باستحواذ هذه القضية على فكر الدارسين ، فإنه يبقى الاستقرار على تسمية القضية ، أهي « قرينة الإعراب » أم « نظرية الإعراب » ؟ ثم كيف يمكن أن تدعى نظرية ؟ لعل المؤلف يريد القول إن ظاهرة الإعراب من الظواهر اللغوية التي حفل بدرسها النحو العربي ويعود ذلك إلى أنّ الخطأ وهو ما سمي باللحن ظاهر فيها ويكثر أن يؤتى من قبل أهلها وغير أهلها ممن يتعلمها . أما النظرية التي ينطلق النحويون منها لتفسير هذه الظاهرة ـ ظاهرة الإعراب ـ فهي نظرية العامل .

ويحاول المؤلف بعد هذا شرح منهجه في الدرس على نحو موجز فيعد بأن لا يكرر ما قاله السابقون في (نظرية الإعراب) ولكنه سيحاول لمسها لمسا خفيفاً . وهذا في ظني من الكلام الذي لا حاجة به إليه ، فليس الدرس اعادة أقوال

السابقين ، ولا تعاد الأقوال إلا لمناقشتها أو البناء عليها أو ما يقتضيه البحث نفسه . أما درجة اللمس فالبحث هو الفيصل فيها . وذكر أنه سيركز على أثر (قرينة الإعراب) في توضيح معنى الجملة العربية ، ولكنه لا يحدد ما يريده بمعنى الجملة العربية ! ووعد بأن يبين وجهة نظره في مغالاة النحاة في أثر الإعراب في الجملة العربية .

واختلافه معهم في وصف بعض الأسماء المعربة ، وكذلك بعض الأفعال ، والتعدد المبالغ فيه للوجوه الإعرابية . ولج بعد المقدمة التي أشرنا إليها إلى الموضوع فأورد تحت عنوان جانبي ترجمته « ما الإعراب » المعنى المعجمي للفظ ـ الإعراب ـ والغريب أنه أخذ المعنى اللغوي عن (حاشية يس) ثم نقل عن ابن منظور الذي ينقل عن الأزهري ، وكان يحسن الرجوع إلى الأزهري مباشرة . وبسبب التعجل وربما ضيق المجال لم يوفّ المؤلف دراسة المعنى المعجمي للفظ حقها والإشارة إلى ارتباطها بمتكلمي اللغة نفسها وهم « العرب » ويقابلها لفظ « العجمة » المرتبط بغير العرب وهم « العجم » . واكتفى بالاشارة إلى أن أوضح معاني الإعراب : معنى البيان والتغيير ، ويترك الموضوع دون أن يبين صلة المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي ، ولا صلة ما بين معاني اللفظ المتعددة التي ألمح إليها ، ومنها البيان والتغيير ، ولا يبين تلك الصلة في الكلام على « الإعراب في اصطلاح النحاة » وهو العنوان التالي فرغم قوله : « لا شك أن العلاقة بين المعنى اللغوي للإعراب وهو البيان والايضاح والمعنى الاصطلاحي الذي سنذكره هنا مباشرة علاقة واضحة ، عند من يرى الاعراب هو التغير » ص ١٠ ، رغم ذلك لا ندري آلتغير المقصود هنا هو التغير اللغوي فيكون معنى معجمياً أم هو التغير في أواخر الكلم ؟ وكنا نود لو أنه ركز على المعنى الاصطلاحي وضرب صفحا عن المعنى اللغوي إذ المعنى الاصطلاحي هو المهم في مثل هذه الدراسة .

ويورد المؤلف ما يسميه تعريف الإعراب عند (جمهور النحاة) وهو :

« أ ـ تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظا أو تقديرا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتعريف الاعراب على هذه الصورة يعني أنه أمر معنوي .

ب ـ أثر ظاهر في اللفظ أو مقدر يجلبه العامل المقتضى له في آخر الكلمة التي هي اسم لم يشبه الحرف أو فعل مضارع لم تتصل به نون الإناث أو لم تباشره نون التوكيد .

وتعريف الاعراب على هذه الصورة يفيد أنه لفظي » ص ١٠ ولم يوضح المؤلف لم وصف التعريف الأول بأنه يعني أن الاعراب أمر معنوي ، وعلى الثاني أنه أمر لفظي ، ونحن لا نجد فرقا جوهريا بين التعريفين ، فإنه يرد فيهما معا ، « اللفظ والتقدير » . وينتهز المؤلف الفرصة ليرد الاعراب المقدر رغم أنه سوف يعرض له في موضع لاحق ، فيقول :

« وهذا ما لا يتفق مع المنهج الذي ألزمنا أنفسنا به في بحثنا هذا فالقرينة النحوية إما أن يكون لها تأثير في الصيغة أو لا يوجد لها تأثير ، فإذا ظهر الإعراب قلنا إنه موجود وإذا لم يظهر قلنا إنه غير موجود ، ولا داعي للقول بتقديره ، فهو من باب إهدار القرينة الإعرابية لوجود قرائن أخرى تحل محلها » ص ١١ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويمكن أن تنشأ هنا جملة من الأسئلة عن المقصود بالصيغة وما هو تأثير القرينة الاعرابية فيها ؟ أما عن الإعراب فالنحويون أيضا لا يقولون بظهوره إلا ظاهراً أما إذا لم يكن ظاهراً فهم يقدرونه التفاتاً إلى الأصل والنموذج الأساسي عندهم . ولا بأس أن يذهب إلى ما ذهب إليه من أننا ملزمون بتفسير الظاهرة فقط وهذا ما لعله أراد قوله . وليس هذا من باب إهدار القرينة الإعرابية لأننا لا نستطيع إهدار ما ليس موجوداً ، وليس ـ أيضا ـ لوجود قرائن أخرى تحل محلها ، فإذا تخلفت هذه القرينة أغنت عنها قرائن أخرى ، ولكن لا تحل محلها .

ويمضي الباحث بعد هذا إلى ما يمكن أن نسميه تعميقاً لدراسة المصطلح ومفهومه فيعقد عنواناً جانبياً هو « الإعراب والنحو » ويسأل :

« هل يعتبر الاعراب والنحو شيئا واحدا أو يعتبر الاعراب جزءا من النحو

كما هو مشهور وقبل الاجابة على هذا السؤال نعرض في ايجاز لمفهوم النحو عند بعضهم » ص ١١ .

وتواجهنا هنا مشكلة المصطلح مرة ثانية فهو يستخدم مصطلح « إعراب » وهو يستبطن المصطلح نفسه وهذه مشكلة أساسية قد لا يجد الكاتب منها مفراً ولكنه مطالب على أي حال أن يحدد محتوى المصطلح في المواطن الملبسة على الأقل ، فهل المقصود هنا الإعراب : الظاهرة اللغوية ؟ فإذا كانت كذلك فكيف تكون جزءاً أو مطابقة للنحو ؟ ولعله يريد بالإعراب العملية التحليلية التي يقوم بها الدارس اللغوي أو المتعلم ، فإذا كانت كذلك فلم تقحم هنا ؟

وتحت مفهوم النحو يورد بعض النقول دون مراعاة لترتيب تاريخي لها ، أو موضوعي . بدأ بقول لعبدالقاهر وهو قوله المشهور عن النظم ، وعلق عليه بقوله : « هذا هو معنى النحو عند الامام عبدالقاهر وهو معنى عام يشمل كل ما له صلة بالنظم شكلا أو مضمونا ، فالبحث في الإعراب والتقديم والتأخير والفصل والوصل وغيرها من المباحث الجمالية من اختيار للكلمات ومواقعها وجرسها إلى غير ذلك من كل ما يكون عنصراً جماليا أو يؤثر في المضمون » ص ١٢ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمراجع لمقولة عبدالقاهر لا يرى ما يراه المؤلف فعبدالقاهر يعقد صلة بين سلامة النظم وفساده وبين سلامة النظام اللغوي في النص . وليس من همّ عبدالقاهر وهو يعرض لدرس أسلوبي أن يعرّف النحو تعريفا اصطلاحيا أو يعرض لماهيته . وعبدالقاهر يدعو إلى ميدان من الدرس لم يشغل النحويون أنفسهم به ، لأنه ليس داخلا في ميدان درسهم ، وهذا الميدان الذي يدعو إليه عبدالقاهر ـ فيما أظن ـ هو الدرس الأسلوبي وهذا الدرس مختلف عن درس النحو وإن يكن مبنيا على النحو وغير النحو من العلوم اللغوية .

وينتقل المؤلف بعد هذا إلى ابن جني فيقول : « النحو عند ابن جني أعم من ذلك ، فيشمل النحو والصرف معا » ص ١٢ . ولا ندري أتعود « ذلك » إلى قول عبدالقاهر أم إلى « الإعراب » ؟ فإذا كانت تعود إلى عبد القاهر فهذا يعني أن

المؤلف فهم من قول عبدالقاهر أنه يخرج المباحث الصرفية من النحو وهذا ما لا يعطيه قول عبدالقاهر بل يستلزمه . أما قول ابن جني فهو « النحو : هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والاضافة والنسب والتركيب ، وغير ذلك ، ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها ، وإن لم يكن منهم ، وإن شذ بعضهم عنها رد إليها » ص ١٢ . وابن جني بهذا لا يريد أن يعدد مفردات النحو أو ما يدخل في درس النحو ، وما لا يدخل ، وإنما هو رجل لغوي يحاول أن يفسر الكلمة لغويا فيربطها بانتحاء سمت كلام العرب إشارة منه إلى الوظيفة التعليمية التي ينهض بها النحو فهو يهيء المتعلم للمهارات اللغوية في رأيه لأن يلحق بأهل اللغة ، ولذا راح يعدد الظواهر اللغوية وهي شاملة لكثير من المباحث النحوية والصرفية وغيرهما .

أما قول الخضري فليس قريبا من قول ابن جني خلافا لما يذهب إليه المؤلف فعند الخضري النحو : « علم بأصول مستنبطة من كلام العرب ، يعرف بها أحكام الكلمات العربية حال أفرادها وحال تركيبها . . . » ص ١٣ ، فالخضري يقدم النحو علما مجرداً وليس يتكلم على وظيفته التعليمية ، ولا يحاول شرح الكلمة لغويا .

ويورد بعد ذلك قول الخضراوي ، ويرى أن مباحث النحو عنده تضيق حتى ليظن أنه متساوٍ مع مفهوم الإعراب ، وقول الخضراوي هو « علم بأقيسة تغير ذوات الكلم وأواخرها بالنسبة إلى لغة لسان العرب » ص ١٣ ، ولسنا نجد الخضراوي ضيق مجال الدرس حتى حصره في الإعراب فهو يشير بقوله تغير ذوات الكلم الى كل ما يتناوله الصرف في الدرس . ويعلق المؤلف بعد هذه الأقوال التي نقلها وعدّها أهم الآراء ، بقوله : « هذه أهم الآراء في تحديد مصطلح النحو وتحديد مباحثه ، وهي ـ كما نرى ـ متفاوتة بين موسع لبحوث النحو شاملا النحو والصرف معا ، ومضيق لها ، حتى ليخرج منا مسائل ذات أهمية كبيرة في الدراسات النحوية ، كالرتبة وغيرها ويجعل النحو خاصا أو قاصرا على الاعراب وحده » ص ١٣ .

ويمكن القول في هذا المجال إن مصطلح النحو عندهم مصطلح يطلق على جملة دراسة النظام اللغوي فيدخل بذلك الدراسات الصوتية والصرفية والتركيبية . أما انفراد بعض القضايا بالدرس تحت اسم الصرف أحيانا فهو تفريع على النحو لا يقصد به كونه شيئا منفصلاً .

ويمضي المؤلف بعد هذا إلى الشق الثاني من الثنائية « النحو والإعراب » وهو « الإعراب » فتحت عنوان « ثانيا مصطلح الإعراب عند النحاة » أورد أقوالاً لثلاثة لا أدري لماذا جعلهم ممثلين للنحويين ، ولا أدري لماذا اقتصر عليهم ، ولا الأساس الذي اختار عليه كتبهم التي أخذ منها ما يدور حول « مصطلح الإعراب » وتواجهنا مرة أخرى مشكلة الترتيب التاريخي فالمؤلف لا يعيرها ـ على أهميتها ـ بالاً فنجده يبدأ بأقوال للزركشي (المتوفى سنة ٧٩٤هـ) ثم يعود إلى ابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦هـ) ليقول إن ابن قتيبة يتفق مع الزركشي في جعله الإعراب مساوياً للنحو أما أقوال الزركشي فهو يأخذها من كتابه « البرهان في علوم القرآن » وهو كتاب لا يمكن عده كتابا نحويا صرفا ، وليس من همّ الزركشي فيه أن يقدم مصطلحا للإعراب أو مفهوما له ، مع ذلك فالقول الذي نقله وذهب إلى أنّ الزركشي يوسع به مفهوم الإعراب فيدخل مباحث الصرف فيه لا يعطي هذه النتيجة لو أعاد المؤلف قراءة القول برويه ، فالزركشي يشير إلى أنهم قالوا بأن الإعراب يبين المعنى ، ثم أشار إلى أمر آخر يبين المعنى غير الإعراب فقال : « وكذلك فرقوا بالحركات وغيرها بين المعاني فقالوا مِفتح بكسر الميم للآلة التي يفتح بها . . . » ص ١٤ . فالزركشي يتحدث عن قضيتين لا قضية واحدة . وينقل نصاً آخر ، ويتهم الزركشي بأنه يخلط بين بحوث النحو وبحوث الصرف ، وهو وهم آخر من أوهام المؤلف . ونورد الآن النص الذي نقله عن الزركشي :

« وعلى الناظر في كتاب الله الكاشف عن أسراره النظر في هيئة الكلمة ، وصيغتها ، ومحلها ، لكونها مبتدأ أو خبراً أو فاعلة أو مفعولة أو في مبادىء الكلام أو في جواب ، إلى غير ذلك ، ويجب عليه مراعاة أمور ، أحدها ـ وهو أول واجب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عليه ـ أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفردا كان أو مركبا قبل الإعراب فإنه فرع المعنى » ص ١٤ .

فأين الخلط في هذا النص بين المباحث فكله توصيات للنظر في النظام اللغوي القرآني دون تحديد ، وعند الكلام على الإعراب أوجب على المعرب الانطلاق من المعنى ونحن نحس هنا أن كلمة « الإعراب » تأخذ معنى خاصاً ليس هو الاشارة إلى تغير أواخر الكلمات وإنما تعني التحليل اللغوي (النحوي) للنص ، أي بيان وظائف الكلمات في النص وهذا مرتبط بالمعنى ، ولذا قال إنه فرع المعنى ، وهذا أمر لم ينبهنا إليه المؤلف ، وإن كان قد تنبه إليه هو نفسه وهذا يفهم من قوله ، وأفضل شيء قاله الزركشي في هذا النص ما ذكره عن الإعراب والمعنى فالإعراب عنده فرع المعنى ، فعلى القارىء أن يتدبر المعاني أولا ، ثم بعد ذلك يتعرض للإعراب ، وليس كما صار إليه الأمر من جعل المعنى تابعا للإعراب ، وقياس البراعة النحوية بمقدار تعدد الأوجه الإعرابية الممكنة من خلال التفسيرات المختلفة ثم قياس المعاني بعد ذلك عليها ، مما جعل كل ضارب يسهم في هذا العلم لا يخطىء حجته وواجداً تأويلا يدعم به قوله » ص ١٤

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالمؤلف نفسه هنا استخدم « الإعراب » بدلالتين ، وهما ، العملية التحليلية ، والظاهرة النحوية . والنص كما نلاحظ فيه شيء من التناقض فنجده يرد الأوجه الإعرابية إلى وجود تفسيرات مختلفة ثم يقول إن المعاني تقاس على هذه الوجوه الإعرابية أي أن المعاني تتعدد حسب الوجوه الإعرابية . ويريد القول إن السبب يعود إلى جعل المعنى تابعا للإعراب وليس الأمر كذلك فالسبب أن الانطلاق من نص تتيح لغته هذه الإمكانات والتعدد وتسمح به هو السبب في تعدد المعاني والأوجه الإعرابية .

وينتهي المؤلف بعد إيراد أقوال ابن جني حول الإعراب إلى أن للنحويين نظريتين : الأولى جعل الإعراب مساويا للنحو فيشمل العلامة والرتبة والمطابقة ، والثانية ترى أن الإعراب وحده جزء من كل ، وقرينة من القرائن . وقد بينا في

السطور السابقة وهم المؤلف في بعض ما انتهى إليه .

ويختم المؤلف كلامه على هذه المرحلة من البحث بقوله : « أما حديثنا فهو مع الذين نسبوا إلى الإعراب معظم الفضل في بيان المعنى النحوي ومجدوه ، وبالغوا في إظهار قيمته ، الأمر الذي دفعهم إلى تعقيد معالجة النصوص اللغوية ، وإيراد كثير من الأوجه الإعرابية في تفسيرها ، مما جعل الإعراب أصلا وأساسا للمعنى وليس فرعا عنه كما ذكر الزركشي منذ قليل ، إذ رأى أنه ينبغي تصور المعنى قبل الإعراب ، لأن الإعراب فرع عنه ، فالإعراب ـ عند الزركشي ـ تابع للمعنى وهذا هو الأصل ، أما عند بعض النحاة فالإعراب أصل للمعنى ، وعندهم أن تصور المعنى تابع لتصور الإعراب ، فالمعنى يتعدل تبعا للإعراب ، ولا يتعدل الإعراب تبعا للمعنى ، وذلك واضح نبه إليه الزركشي ـ رحمه الله ـ إذ الإعراب في خدمة المعنى وليس المعنى في خدمة الإعراب » ص ١٧ . وأحسب أن النتيجة التي انتهى إليها المؤلف وهي كون الإعراب في خدمة المعنى تعيده إلى صف النحويين الذين خالفهم ، إذ نفهم من قوله هذا أن علينا أن نعرب إعرابا صحيحا لندرك المعنى الصحيح ، وبهذا يكون الإعراب خدم المعنى ، وأحسب أن القضية هنا قضية صياغة للفكرة . وقضية ازدواج مفهوم « الإعراب » ، فيجب أن تصاغ العبارات بدقة حسب المفهوم المراد : الظاهرة أم التحليل .

ولست أدري لماذا يصر المؤلف على جعل أحد الأمرين ـ المعنى والإعراب ـ أصلا وهو يعلم ـ بلا شك ـ أن ثنائية اللفظ والمعنى وتضافرهما هو من أخص خصائص اللغة الإنسانية ؛ فالإعراب ـ الظاهرة ـ في خدمة المعنى والمعنى في خدمة الإعراب في الوقت نفسه ، وإذا كان بعض النحويين قد أشار إلى جانب من القضية وأشار الزركشي إلى جانب آخر ، فلا تناقض ولا تعارض ، فنحن حينما نسمع قولا أو نقرأ نصا لا شك أن كيفيته الإعرابية توجه المعنى في مقابل كيفيات أخرى تعطي معاني أخرى . فهذا في جانب المتلقي أما جانب المتحدث والكاتب فإن المعنى الذي يريد إيصاله هو الموجه لهيئة الرسالة بما في ذلك الشكل الإعرابي الذي تظهر فيه تراكيبها ، ويتصل بهذا ما يشير إليه الزركشي من الإعراب وهو تحليل النص لمعرفة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وظائف الكلمات فيه ولا شك أن ذلك تابع للمعنى لأن المحلل اللغوي يقوم بعملية إيصالية للرسالة على طريقته فلذا ينطلق من المعنى .

والمؤلف يؤمن تماما بأثر الإعراب في تحديد المعنى نجد ذلك في قوله (ص ١٩) : « ولا شك أن الحركة الإعرابية هي التي حددت معنى من المعاني الثلاثة » .

ويعقد المؤلف عنوانا جانبيا هو « الإعراب في الاسم والفعل » والمقصود هنا بمصطلح « الإعراب » ما يقابل مصطلح « البناء » . ويعرض فيه إلى قول البصريين بأصالة الإعراب في الأسماء دون الأفعال ، ويصف قول الكوفيين بأنه أقرب إلى « الشكلية » و « الواقعية اللغوية » ، وذلك « حينما لم يدخلوا في متاهة البحث عن الأصل والفرع في إعراب الأسم والفعل » ص ١٨ . ورغم هذا القول يستمر قائلا « فقالوا : إن الإعراب أصل في الأسماء والأفعال معا » ص ١٨ فما الفرق بين مذهب الفريقين .

وقبل المضي في تتبع موضوعات الكتاب نريد أن نشير هنا إلى ملاحظة مهمة وهي أن المؤلف لم يشر إلى ما تحتمله كلمة « الإعراب » من أوجه دلالية اصطلاحية ، والمشكلة أنه يسوق الكلام هنا وهناك دون تحديد لمدلول المصطلح ، ولعل ذلك راجع إلى ثقته بإدراك القارىء ، ولكنه يحسن البيان في مواطن اللبس ، والمصطلح يستخدم في التراث النحوي ليدل على ثلاثة معان هي :

١ ــ الإعراب في مقابل البناء ، وهذا مصطلح صرفي يشير إلى إمكانية تغير آخر الكلمة أو عدم تغيرها ، ذلك حسب تكوينها الصرفي . وعلى هذا يجرى توزيع الكلمات إلى مبني ومعرب .

٢ ــ الإعراب تغير أواخر الكلمات (الممكن تغيرها) حسب وظائفها في الجملة ، وحسب العوامل الداخلة عليها . وبهذا يشار إلى هذه الظاهرة اللغوية وتوصف اللغة بأنها معربة أو غير معربة ، ولكن لا يقال مبنية في مقابل معربة في هذا السياق .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ ـ الإعراب أي تحديد وظائف الكلمات أو الجمل أثناء التحليل اللغوي ، كأن يقال هذه الكلمة مبتدأ وهذه خبر ، وهذه الجملة حال وغير ذلك مما يتصل بالتحليل .

وانتقل المؤلف إلى جانب متصل بتاريخ اللغة ، وذلك تحت عنوان « القول بإنكار الإعراب » وهو اتجاه يذهب الذاهبون إليه إلى الفصل بين التغير الإعرابي والوظيفة التي تحتلها الكلمة من الجملة ، وإنكار الإعراب ليس إنكاراً للظاهرة اللغوية نفسها ـ على ما يذهب إليه المؤلف ـ وإنما هو إنكار لتفسير النحويين ، ورد له ، أما الظاهرة فليس يذهب أحد إلى إنكارها ، فليس يملك أحد أن ينكر ظاهرة لغوية ولا أن يدعي وجود أخرى ـ فالقضية إذن قضية تفسيرية ، ولذلك أعجب من إقامة المؤلف أول حججه على التزام الإعراب في لغة أصحاب هذا المذهب يقول : « من الغريب أن نجد جميع المنكرين لفكرة الإعراب يلتزمون في كل كتبهم وأحاديثهم وخصوصا فيما تعرض لإنكار الإعراب ، أقول يلتزمون بالإعراب في كلامهم » ص ٢٠ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والأغرب من هذا الأحكام المتصفة بالمصادرة نتيجة للحماسة التي قد تسيء إلى اصدار الأحكام ، يقول : « والحق أن أستاذنا الكبير ، ما ترك جهدا إلا وبذله من أجل إيضاح نظريته وحقا لقد بذل المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس جهدا خارقا وفكراً عميقاً أشهد أن ما جاء به أحد قبله ، ولن يجيء به أحد بعده في سبيل هدم نظرية الإعراب ، ولكنه للأسف دافع عن فكرة ـ في ظني ـ خاسرة » ص ٢١ ، فهل أغلق باب الاجتهاد في هذه المسألة ؟

وينتهي المؤلف في « أثر الإعراب في بيان المعنى » إلى أن هناك نظريتين : الأولى « تنسب الفضل للإعراب في بيان المعنى وتمجده وتبلغ به الغاية فيتضح الإعراب ـ نتيجة لذلك ـ وحوله هالة كبيرة تطغى على ما حوله من القرائن الأخرى وكأن لا وجود لها » ص ٣٢ . والثانية ـ وهي رد فعل للأولى ـ تحاول أن تجرد الإعراب من ذلك الفضل وتطمس معالم هذه الهالة الكبيرة ، لا لكي يظهر

الإعراب في قيمته الواقعية ، بل ليلغى تماما وكأن لا وجود له في الإبانة عن جزء من المعنى » ص ٣٣ .

والمبالغة واضحة في صياغة هذه النتائج فلا أحد يزعم أن الإعراب وحده هو الفيصل في تحديد المعنى ، ولو كان كذلك لما تعددت المنصوبات حسب التصنيف النحوي فهناك : المفعول به ، والمفعول له ، والمفعول معه ، والحال ، والتمييز ، وكلها تنتهي بحركة إعرابية واحدة . بل إن الحركة لا تصرفهم عن فهم وظيفة الكلمة الحقيقية ففي قولنا : ما جاء من أحد . لا يصرفهم جرّ (أحد) عن عدها فاعلا .

وأخذ المؤلف يحاول أن يثبت أنه في غياب « الإعراب » يمكن أن يتضح المعنى ، ويوضح ذلك الرتبة والمطابقة العددية والشخصية والنوعية ، وحاول على هذا الأساس التفرقة بين المبتدأ والفاعل .

عدد القرائن المحددة للفاعل وهي :

١ ــ العلامة الإعرابية

٢ ــ الموقع ، يكون الفاعل بعد الفعل لا قبله .

٣ ــ الاسناد أي جعل الفعل محكوما به والفاعل محكوما عليه .

٤ ــ المطابقة وهي قرينة سلبية على حد تعبيره ، ويفسرها بقوله : « أي لا مطابقة بين الفعل والفاعل في العدد » وأهمل أنواع المطابقة الأخرى .

وينتهي من هذا إلى أن العلامة الإعرابية لا تميز بين الفاعل والمبتدأ فكل منهما مرفوع . وقرينة الإسناد لا تميز أحدهما من الآخر ، فكل منهما مسند إليه . وقال عن الرتبة « أما الرتبة فهي ملتزمة عندما يجيء الخبر فعلا ، ولا يجوز مطلقا تقدم الخبر وهو فعل على المبتدأ » ، وهو بهذا يخالف منهجه الوصفي ، فكيف أعرف أن هذا المتقدم على الفعل مبتدأ أو فاعل ؟ وهو يورد قول الكوفيين ومتابعة المخزومي من المحدثين لهم في أن الفاعل قد يتقدم على الفعل ، وهذا صحيح ففي قوله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تعالى : ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك** ﴾ لا يمكن أن ندعي أن (أحد) هنا مبتدأ ، ولذا لجأ البصريون إلى التقدير ، وعدها الكوفيون فاعلا مقدما .

وينتقل بعد هذا إلى التطابق فيؤكد على أن التطابق بين المبتدأ والخبر لازم « سواء أكان الخبر وصفا أو فعلا » ص ٣٥ .

ودعوى التطابق هذه لا يمكن قبولها فيصلا في تمييز الفاعل من المبتدأ إذا كنت أذهب إلى جواز تقدم الفاعل ، فمتى تقدم فلابد أن يكون في الفعل ما يدل عليه .

بقى ان نقول إن التفريق بين الفاعل والمبتدأ يتم أيضا بغير ما ذكر من القرائن ، وذلك بوظيفة كل منهما ، فالمبتدأ اسم يبتدأ به وينتظر السامع أن يأتي ما يخبر عنه حتى إنه إذا تأخر الخبر أو تلكأ المتكلم نجد السامع يسأل : ما به ؟ والمبتدأ والخبر لا يكونان ضميمة كالفعل والفاعل . وفرق آخر أن المبتدأ يجيء بعده الخبر بسيطا أو معقداً ، واحداً أو متعددا ومع هذا يظل تركيب الجملة من المبتدأ والخبر ـ رغم طوله ـ جملة واحدة بسيطة ، أما الفاعل فعند تعدد الأفعال وعطفها على ما قبلها بأداة العطف فإنها لا تكون مع الجملة الأساسية جملة بسيطة وإنما هي سلسلة من الجمل المتراصة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن القرائن التي أهملت في الدرس النحوي ـ بسبب انطلاقه غالبا من النصوص ، ولتعذر وصفها أثناء الدرس على ما أظن ـ قرينة التنغيم ، ونبر الكلمات مما يتصل باللغة المحكية ، ونقصد بالنبر التركيز على إظهار كلمة في الجملة وهذا غير نبر الأصوات ، وغير تنغيم الجمل . وعليه يمكن تقديم الفاعل على الفعل ، ونبره بحيث يظهر أنه الفاعل مقدما ، ويدل بنبره على الاهتمام به ، وربما الاشارة إلى حصره ، وأنه هو المستبد بالفعل دون غيره ، والمراقب للهجات العربية المعاصرة يستطيع أن يدرك كون الاسم المقدم مما سيجيء الإخبار عنه أو أنه فاعل لم يأت فعله بعد .

نأتي الآن إلى موضوع آخر وهو « المبالغة في الإعراب وأثرها على الدراسات

النحوية » . وأشار في هذا الموضوع إلى قضيتين الأولى الإعراب التقديري ، والثانية الإعراب المحلي .

وخلاصة ما يريد قوله ان الإعراب إما أن يظهر على الكلمة أو لا يظهر فإن ظهر فهو إعراب وإلا فهو بناء ، ولذا يعد المقصور والمفرد المضاف إلى ياء المتكلم من المبنيات ص ٣٨ .

ونحن وان كنا نوافق المؤلف في أن الإعراب التقديري لا طائل تحته فإنا لا نوافقه في عد المضاف إلى ياء المتكلم مبنياً ، فهو مما امتنع إعرابه بسبب ياء المتكلم وهي قضية صوتية يفسرها علم الأصوات .

أما قضية الإعراب المحلي فهو يذهب إلى أن تحديد وظائف الجمل ذات المحال الإعرابية لا يخضع لكونها في محل رفع أو نصب ، ولذا يقول « من أجل ذلك نخالف النحاة فيما قالوه عن الإعراب المحلي ، وأثره في بيان المعنى الوظيفي أو الدلالي . ونرى أنه لا اعتبار له من وجهة نظرنا الوصفية .

ومثل ما قيل عن الجملة الواقعة حالا يقال عن غيرها من الجمل التي قيل إن لها محلا إعرابيا » ص ٤٢ .

والمؤلف هنا يخالف النحويين في موضع ليس موضع مخالفة فهم يدركون أن الحركة الإعرابية لا تظهر هنا ، وأنها لا تظهر إلا مع مفرد لا جملة ، ولذا لا يمكن أن يدعوا أن الإعراب له عمل هنا في بيان وظيفة الجملة ، ولكنها طريقتهم في التحليل التي ترتد إلى التأصيل لديهم ، وهو كون التركيب الأصلي تتلازم فيه الحالة الإعرابية والوظيفة : كالنصب والحال ، فإذا تخلفت الحركة بحكم أن التركيب فرعي أي جملة وليس مفرداً قالوا بأنها في موضع نصب إشارة الى التركيب الاساسي وسواء اقالوا بأن الجملة حال أم في محل نصب حال ، فلن يقدم هذا أو يؤخر وليس له أهمية في بيان المعنى الوظيفي ، وهم لا يزعمون ذلك فليس عليهم مدخل من هذه الجهة .

نأتي بعد هذا إلى ما أطلق عليه « الإزدواجية في إعراب بعض **الأبواب** النحوية » وكنت أود لو أنه قال : إعراب بعض الظواهر اللغوية ، أو بعض التراكيب اللغوية بدلاً من الأبواب النحوية .

ويرجع الازدواجية إلى اهتمام متأخري النحويين بالإعراب ـ على ظنهم ـ أنه أكثر الوسائل وضوحا في الإبانة عن المعنى ، وذلك ازدواجية البناء والإعراب في الباب الواحد مثل « باب لا النافية للجنس » و « المنادى المفرد المعرفة » ويأخذ على النحويين عد المنادى معربا ومبنيا في وقت واحد إذ هم يعدون الاسم في : يا زيد ، مبنيا على الضم ، وهو في موضع نصب وليس في هذا ازدواج . وقد فهم الازدواج نتيجة لازدواج معنى المصطلح « إعراب » فلا يمكن أن يعاملوا المنادى معربا ومبنيا في وقت واحد على عد مصطلح « الاعراب » مقابلا للبناء ، أما كون المبنى ذا موقع إعرابي فلا أظنه أمراً منكراً ، فهم يقولون إنه منتصب محلاً ، أي لو وقع مكانه ما ليس **مبنيا لانتصب** لفظاً ، والذي يؤخذ على النحويين حقيقة هو اضطراب مفهوم البناء في بعض التطبيقات وعد مثل المنادى مبنيا لغياب التنوين فقط مع أن الممنوع من الصرف يغيب عنه التنوين ولا يعدّ مبنياً ، وإذا كان المبني عندهم إنما بني « لشبه من الحروف مدني » فما الشبه هنا ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويقف المؤلف أخيراً عند قضية تعدد الأوجه الإعرابية التي أغرم بها النحويون ، وضرب مثالاً لذلك وهو قوله تعالى : « إن هذان لساحران » بتشديد « إنّ » ورفع « هذان » وعدّد هذه الأوجه ص ٤٦ ، وعلق بعد تعداد الأوجه بقوله : « ونحن لن نعلق على هذه الآراء جملة أو تفصيلا كما أننا لسنا في مجال الحكم على النحاة ، ولكننا فقط نذكر بما قلناه سابقا من أن اهتمام النحاة الزائد بمسألة الإعراب هو الذي أوجد كل هذه الآراء المتفاوتة حتى بين أصحاب المذهب الواحد ، فهذه الآراء المذكورة ما عدا الأخير كلها للبصريين » ص ٤٦ ـ ٤٧ .

لنا أن نسأل الآن عن السبب الحقيقي وراء تعدد الآراء حول هذه الآية أهو حقا ولع النحويين بمسألة الإعراب أم هو أمر آخر ، أكانت تتعدد الآراء لو كانت

هذه المسألة وقعت في غير القرآن ، إن النحويين يريدون أن يجدوا لهذه الآية مخرجا تكون به موافقة للنظام اللغوي . بل لعل القراءة التي تعتمد نصب « هذين » تأتي بالآية على ذلك النظام . وأمر آخر أفضى إلى تعدد الآراء هو الانطلاق من النصوص المكتوبة .

بقي أن نقول إنّ المؤلف قد وسع دائرة بحثه في عنوان بحثه ولكنه لم يعنّ نفسه كثيراً في سبيل الوقوف على آراء لها أهميتها في هذه القضية . مثال ذلك ما كتبه عبد القادر المهيري في حوليات الجامعة التونسية ، العدد الخامس (١٩٦٨) ص ٧ ـ ١٦ وهي مقالة عنوانها « مساهمة في تحديد الجملة الاسمية » . وفيها يناقش رأي مهدي المخزومي وما ينجم عنه من مشكلات ، من مثل ما يلحق الفعل من لواحق عندما يكون الفاعل المقدم مثنى أو جمعا . وهذه المشكلات هي التي واجه بها المبرد الكوفيين من قبل (المقتضب ٤/١٢٨) .

وخلاصة ما ينتهي إليه المهيري هو أنه يلزم لاستقامة رأي المخزومي اطراح مسلمتين : الأولى عدّ ما يلحق الفعل من لواحق ضمائر ، والثانية ارتباط الحركة بالوظيفة الإعرابية . وعلى هذا القول يمكن إعراب (محمداً) فاعلا في قولنا :

(إنّ محمداً يذهب إلى المدرسة كل يوم) .

وقد كان من المفيد الوقوف عند مثل هذه المناقشات .

ونقول أخيراً إنّ المنهج الذي ألزم المؤلف نفسه به ـ وهو المنهج « الشكلي » أو « الوصفي » ـ منهج ذو ثمرة جيدة ، ولكنه يقف بالدرس عند مرحلة لا ترضى العالم اللغوي الذي لا يقنع بظواهر الأشياء ، وإنما يهمه المضي إلى سبر أعماقها ، وتتبع أصولها ، وتفهم أسرارها ، وهو منهج لنحويينا القدماء فضل ارتياده والكشف عنه ، ونحن وإن كنا قد لا نلتقي معهم وقد نخالفهم في كثير من مصادراتهم ومسلماتهم ؛ فإنا نرتضي منهجهم الذي ينتقل من الظاهر إلى الباطن ومن السطح إلى العمق .

●●●



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعر علي الامارة

الى أينَ تمضي حينَ يهجرُكَ البحرُ
وهل تنفعُ الذكرى وهل ينفعُ الصبرُ
وهل تورقُ الرؤيا هديراً مروياً
تضجُّ بهِ الدنيا فينصفكَ الدهرُ

هنا أنتَ نهبُ الريحِ في كلِّ ساعةٍ
ولا عاصمٌ ممّا يحمُّ وما يغـ.
هنا حيثُ يأتي الليلُ نهراً من الأسى
فتشربُهُ عينانِ جفناهما الجمرُ
وحيث يذوبُ القلبُ فرطَ صبابةٍ
وأضغاثِ أحلامٍ يضيق بها الصدرُ
أأنتَ ضننتَ الشعرَ همساً ورقةً
فكنْ جبلاً حتى يزلزلك الشعر
وحاورْ جدارَ السجنِ حاورْ ظلامَهُ
وجدْ لغةً في الشعر يفهمُها الصخرُ
وخلِّ حطامَ الروحِ يزويكَ عبرةً
متى تُرتجُ الأبوابُ أو يُسدلُ الستْرُ
ولا تلتفتْ فالدهرُ خلفَكَ موحشٌ
وكلُّ مدىً مرّتْ خطاكَ بهِ قفرُ
الى أينَ تمضي.. أيُّ سفحٍ تؤمُّهُ
وكلٌّ الذي ترجوهُ مركبُهُ وعرُ
وأنتَ أخو همٍّ تقاضيكَ عبأَهُ
منافٍ على أبوابِها صُلبَ العمرُ
وفي ساحةٍ تعرى يداكَ مذلةً
وفي ساحةٍ تشتاقُكَ البيضُ والسمرُ
تهمُّ فتُصلى بينَ أمرٍ وضدِّهِ
أوَصلٌ لسلمى أمْ هو البينُ والهجرُ
وكيفَ وسلمى دونَها الموتُ والنوى
وأنتَ قتيلُ الشوقِ أزرى بِهِ الأسرُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لشوطٍ تقاضتْكَ المنونُ .. للحظةٍ
تصارعَ في أعماقِكَ الخيرُ والشرُّ
أتكتمُ سرَّ العشقِ والعشقُ فاضحٌ
أجفَّ معينُ القلبِ أمْ عثر النهرُ
وسلمى ربيعُ العمرِ سلمى خريفُهُ .
وسلمى هي العسرُ الذي بعدهُ اليسرُ
تحملْ بما أوتيتَ هماً وغربةً
وسافرْ بجرحٍ ملؤُهُ الزهوُ والكبرُ
وخلِّ هوىً بين الجوانح مضمراً
يشبُّ - على هولِ الجراحِ - ويخضرُّ
فأنتَ ملاذٌ للمخاضاتِ كلِّها
وأنتَ مخاضٌ لا ملاذَ لهُ عسرُ
وكلّ أكفِّ الناسِ أثقلتَ رفدها
وكفكَ ممّا قد علقتَ بهِ صفرُ

الى أينَ تمضي والمسافاتُ لوعةٌ
وأنتَ غريبٌ زادُهُ الشوقُ والقهرُ
أأسوأ مِنْ أنْ تألَف النزف صاحباً
وأن يتساوى عندكَ النفعُ والضرُّ
وأرهبُ من أنْ تركبَ الموتَ معبراً
وجرحُكَ للغافين عن موتهم جسرُ
تحاولُ أن تَخفي من الحبِّ غمرةً
فيفضحُكَ المدُّ الذي ما لَه جزرُ

وتلكَ خصومٌ قد تمادتْ ببغيها
وتلك عمومٌ ما لها - من دمٍ - زجرُ
وتلك كلومٌ ماطراتٌ كريمةٌ
وتلك غيومٌ ليس من طبعها القطرُ
وتلك نجومٌ كلَّ ليلٍ تعدُّها
وتلكَ همومٌ ما لها أبداً حصرُ
وذي صيحةٌ خرساءُ ضجَّ بها المدى
وذي صيحةٌ هوجاءُ ليس لها ذكرُ
وذي ليلةٌ ظلماءُ والبدرُ طالعٌ
وذي ليلةٌ قمراءُ ليس بها بدرُ

ترقّبْ لعلَّ الأفقَ ينشقُّ عن رؤى
لعل عروسَ البحرِ يقذفُها البحرُ
وجالدْ فما في الأرضِ مأوىً لشاعرٍ
ولا حلبٌ تأتي ولا يبزغُ الفجرُ
« بني عمنا ما يصنع السيفُ في الوغى . . »
وتبقى وحيداً ! انه الزمنُ المرُّ[1]
وتنأى الأماني الواعداتُ كئيبةً
وتمضي الليالي العشرُ والشفعُ والوترُ
الا يا عصا موسى أضربي البحرَ مرةً
عسى تستفيقُ الأرضُ أو يسقط السحرُ
ألا يا عصا موسى ألينا تقصدتْ
نبالُ أهالينا وناءَ بها الظهرُ

وعربَد وسَط التيهِ أخوةُ يوسفٍ
فأنكرت الصحراءُ ما ضمَّنَ البئر !
ألا فاسجري وجهَ الرمالِ مهولةً
ألا فاقطعي كفَّ الرياحِ وما تذرُو
وسدِّي على قابيلَ بالدمِ منفذاً
ليقتصَّهُ من كان مذبحُهُ الغدرُ
هنا أنتَ والأيامُ تمضي عقيمةً
تكابرُ لا نهيٌ عليكَ ولا أمرُ !
وبينَك والمنفى (عجوزٌ بمنبج)
فأقسى من الموتِ الزؤامِ هو الصبرُ[٢]
وحولَك رومٌ لا يقرُّ قرارُهم
يمنّونَ لو شُلتْ أناملُكَ العشرُ
يروِّعُهُمْ أنَّ اصطبارك باسلٌ
وانكَ رغمَ القيدِ منفردٌ حرُّ !
تحدَّ ! ولا تحفلْ بعدٍّ وعدةٍ
فكم حفروا قبراً فأزرى بهم قبرُ
وكم حاولوا أن يصلبوا الفكر فوقَهُ
فيُصلبُ أهلُ الفكرِ لا يُصلبُ الفكرُ
تحدَّ ! فإنْ سدّوا عن البحرِ مسرباً
إليك . . فأنت الفيضُ والنائلُ الغمرُ
وإن أهجوا كأساً من الخمرِ حلوةً
فأنّكَ أحلى ما تجودُ بهِ الخمرُ
وإن جرّعوا كأساً من الضيم مُرَّةً
فأنكَ مُرٌّ ليسَ يجرعُهُ المُرُّ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإنْ أغلقوا عن صوتِكَ الحرِّ مسمعاً
ففي كلِّ أسماعِ البلادِ له الذكرُ
وإن جرّدوا عنكَ الثيابَ فإنّما
عليكَ ثيابٌ من دمائِهُمُ حُمْرُ

تَرَقَّبْ فإنّ الصبحَ مولدُهُ قسرُ
ورغم عتوّ الريحِ يرتفعُ النّسرُ
وَمُدَّ يداً للبحر تمددْ لها يدُ
ولا تخفِ سُرَّ العشقِ إن الهوى جهرُ
وثب واثقاً فالأرضُ توفي نذورَها
وأقربُ من يومِ الطعانِ لكَ النصرُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) اشارة الى بيت أبي فراس الحمداني
بني عمنا ما يصنع السيف في الوغى
اذا قُلَّ منه مضرب وذبابُ

(٢) منبج هي المدينة التي كان الشاعر واليا عليها قبل أسره . واشارة الى البيت
لولا العجوز بمنبجٍ
ما خفّت أسباب المنية



القضايا الاجتماعية في شعر الشاعر الكويتي فهد العسكر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم: علي عبد الفتاح

أنا إن مت افيكم يا شباب شاعر يرثى شباب (العسكر)
بائسا مثلي عضته الكلاب فغدا من همه في سقر

عاش الشاعر الكويتي فهد العسكر في الفترة من ١٩١٧ - ١٩٥١ ورحل

وخلف في تراث الشعر الكويتي ثروة شعرية كانت حدثا فريدا في حياته وفجر ثورة شعرية أعلنت عن موقفها الاجتماعي بوجدان مرهف احترق بلهيب المعاناة من المجتمع وقد تناول الأستاذ / عبدالله زكريا الأنصاري حياة هذا الشاعر وقصائده في كتاب (فهد العسكر حياته وشعره) فجاء الكتاب بمثابة مرجع لحياة فهد العسكر وشعره ساهم في كشف الجوانب المجهولة عن الشاعر . وفي الحقيقة أن فهد العسكر لم ينل من الدراسات الجادة بعد كتاب الأستاذ / الانصاري سوى دراسة الدكتوره (نورية الرومي) (شعر فهد العسكر) . ولازلنا نعتقد أن هذا الشاعر مازال في حاجة إلى تقييم تجربته من النقد والتحليل فهناك من الأسباب ما جعلت هذا الشاعر مميزا أو نسيج وحده في فترة حياته ، ومن هذه الأسباب . . أولا / يعتبر شعره ثورة وتمرداً على المجتمع لأنه اقتحم قضايا اجتماعية لم يقدر لشاعر قبله أن يعبر عنها بهذه الجرأة الشديدة فشغل الحياة الأدبية والفكرية بقضية الصراع بين القديم والجديد واستطاع أن يكون حدثا وظاهرة تستحق الدراسة لأنه كما يقول (خالد سعود الزيد) . . (فشكم فهد بشعره فاه هذه الفترة وسده) . . ثانيا / موهبة فهد العسكر الفنية التي تخطت حدود البيئة والمكان ونهل من مصادر الأدب العربي رغم مكونات البيئة البسيطة التي لم تكن تتمتع بموفور أدبي ثري وكذلك ثقافته التي تعددت وتعمقت فتأثر بالمذهب الرومانسي الذي كان سائدا في اتجاهات مدرسة (أبوللو) والتي أشرف على مجلتها أحمد زكي أبو شادي وكذلك شعراء المهجر الذين تميز شعرهم بالثورة على القديم . . ثالثا / . . إن الدور الذي اضطلع به فهد العسكر في الكويت لايقل شأنا عن دور مدرسة النهضة التي كان من روادها محمود سامي البارودي ثم حافظ ابراهيم وأحمد شوقي وخليل مطران وهذه المدرسة حطمت القيود حول القصيدة العربية وسدت الهوة بين الشاعر وقضايا المجتمع وقد تأثر فهد بهذه المدرسة . . ولكل ما ذكرناه تكمن أهمية الدراسات عن الشاعر فهد العسكر . .

ولتحديد المرحلة الأدبية والفكرية التي نشأ فيها فهد العسكر في تاريخ الأدب الكويتي . رأى الدكتور (خليفة الوقيان) أن فهد العسكر يعد من رواد المرحلة

الثانية التي تبدأ من مطلع العقد الثالث من القرن العشرين وقد تميزت هذه المرحلة (بالتعليم النظامي كما انشئت أول مكتبة أهلية واقيم أول ناد أدبي وصدرت أول صحيفة كويتية) ويقترب من هذا الرأي (خالد سعود الزيد) قائلا « فليس خفيا مقام فهد العسكر وما خلفه لنا من تراث شعري يعتبر حدا فاصلا بين تراث المرحلة الثانية والثالثة » . . ولكن الدكتور (محمد حسن عبدالله) يعارض فكرة تقسيم الحياة الأدبية على هذا النحو ويرى أن التقسيم النفطي هو المقبول لأنه « ليس من الممكن في حدود النظرة العلمية اعتبار افتتاح المدرسة المباركية أو تأسيس النادي الأدبي مثلا أو صدور مجلة الكويت علامة على ابتداء مرحلة جديدة لأن هذه الصحوات ظلت مجرد حركات موضعية لها دوافعها العميقة ربما لكنها لم تثمر عمليا ما يتكافأ والحماسة المختبئة وراء انشائها » ونجد الدكتورة (نورية الرومي) . . تفرق بين مرحلتين (مرحلة التقليد والاحياء . .) ومرحلة (التطور والتجديد . .) ومن شعراء المرحلة الأولى صقر الشبيب وخالد الفرج ويعد فهد العسكر من أبرز شعراء المرحلة الثانية . . ولذا نأخذ برأي الدكتورة (نورية الرومي) لأن فهد العسكر استطاع أن يخوض بشعره في منطلقات جديدة فجرت الصراع بينه وبين مجتمعه فكان مجددا ومتمردا على القديم . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

* * *

إن فهد العسكر أثبت المقولة التي تقول . . إن الشعر هو اغتصاب العالم بالكلمات . . فقد صدم مجتمعه وبيئته بجميع الصور الشعرية التي أثارها ليتناول قضايا اجتماعية خطيرة ، وأول هذه القضايا قضية المرأة في المجتمع . . فقد كان مجتمعه يتسم بالتحفظ الشديد في بيئة دينية صرف ليس للمرأة أي دور يذكر أو نشاط اجتماعي مرموق بل هي امرأة سلبية تخضع لتقاليد وعادات صارمة فجاء فهد العسكر وصورها امرأة عاشقة تهرع إلى حبيبها وتشرب معه الخمر فتكسر حاجز التقاليد وتخترق أفكار وعادات البيئة في صورة شعرية جريئة وغير مألوفة لأفراد المجتمع .

فتقـول والـكـأس خضـب كفـهـا ... أني لاهـوى الـضـم والـتـقـبـيـلا
فـأجبت أخشى البـدر يفشى سـرنـا ... فـأضفي علينـا شعـرك المسـدولا
مـا ان أداعـب نهدهـا بـأنـامـلي ... حتى أطـوق خصـرهـا المهـزولا
فتخـالنـا فـوق الـرمـال ونحن في ... سكـر الغـرام (بثينـة) و (جميـلا)

وثار المجتمع ضد فهد العسكر لتصويره المرأة على هذا النحو ومنهم من اعتبره فاسقا أو ماجنا لأنه تعدى على معتقداتهم وشوه أفكارهم في بيئة قانعة خاضعة لتحفظها بمنأى عن التيارات الفكرية الاجتماعية ولكن فهد العسكر أثار زوبعة حول موقف المرأة والمجتمع وحريتها في التعبير عن مشاعرها تجاه الرجل الذي تحبه . . فسواء كان المجتمع من التقيد والجمود الفكري والرجعية بحيث أنه لم يتفهم دعوة الشاعر أو الرمز من وراء هذه الصورة فلا ذنب لهذا الشاعر أنه كان يتمتع ببصيرة زمنية نافذة إلى المستقبل تخترق حجب الغيب وتنبىء عن ارتباط المرأة بالتطور ولايعنينا كثيرا رد هذه الصورة إلى الواقع في تلك الفترة ونفسر موقف المرأة على ضوئها إذا كانت حقا قادرة على التمتع بتلك الحرية الاجتماعية في التعبير والسلوك مع الرجل الذي تحبه أم لا . . إن هذا الموقف لايعنينا لأنه بالرغم مما تعاني منه بعض المجتمعات من الكبت وتقييد الحريات على المرأة فإنه من الممكن أن يحدث أكثر مما صوره فهد العسكر في شعره . . إن هدفنا هنا هو تلك الصورة الشعرية التي تعبر عن قضية اجتماعية فجرها الشاعر وظل مرارا يكررها في أشعاره أكثر تحديا للمجتمع وأكثر تمردا .

طـرقـتـني فـجـر يـوم المـولـد ... وأبـوهـا عـاكـف في المسـجـد
فـالـتقى الثغـران رغـم الحسـد ... وكـلانـا متـعـب الـقـلب صـدي
غـادة لم تخـش انـذار أبـيـهـا ... لا ولم تحـفـل بـتـهـديـد أخـيـهـا
حـين قـالت أمهـا قـومي اغنميهـا ... سـاعـة هـيـا مـعـي لا تـقـعـدي

لقد أثارت صورة المرأة الدهشة . . والقلقلة والصدمة في البيئة الكويتية المتحفظة فهي هنا امرأة ايجابية متمردة تتحدى المجتمع وتقف في وجه تقاليده

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأفكاره البالية فبالرغم من أن المناسبة دينية (يوم المولد) وما تشيعه هذه المناسبة من مناخ ديني روحاني فالمرأة **هنا تتخطى** هذا الحاجز للقاء الحبيب وكذلك سلطة الأب وما يمثله من قيد اجتماعي في سيطرته فهو (عاكف في المسجد) وتهديد أخيها وهو سلطة أخرى إلا أن هذه المرأة تتحدى ذلك كله وتلتقي بالحبيب . . والذي يثير الدهشة أكثر أن الأم هنا تمثل الجانب المساهم في تأييد موقف هذه المرأة أو تدعيم دور ابنتها المتمرد . فما الذي أراد أن يقوله فهد العسكر من وراء هذه الصورة الجديدة للمرأة في عصره . . إننا نكون مجحفين بالشاعر لو حاولنا رد هذه التجربة للواقع وبيان عدم صدقها كما فعلت الدكتورة (نورية الرومي) حين قالت « فلم تكن ظروف فهد العسكر الاجتماعية تمكنه من أن يعيش مثل هذه الحياة اللاهية التي قوامها الخمر والنساء فضلا عن طبيعة البيئة الكويتية التي كانت لا تشجع بظروفها المختلفة وتقاليدها المنشودة على قيام هذه الصلات » . . إن ما نركز عليه هنا هو دور الشاعر كعامل إثارة . . وموقف المجتمع كعامل مثار . . فالقضية فجرها وأثارها الشاعر فوقع في المحظور مما أدى به إلى العزلة واجترار الشكوى من الحياة والناس ولكنه سواء نجحت ثورته أو باءت بالفشل ولم تتمخض عن نتائج ايجابية لفكر الشاعر . . فهو هنا فنان . . والفن ثورة . . والثورة تغيير وكان فهد العسكر يحلم بتغيير صورة المرأة . . كان يريد تمزيق ثوبها القديم لتخرج في صورة أخرى تتساوى مع صورة المرأة الحديثة، فراح يقتحم الحصار حولها ويجعلها مثله مشتبكة مع الواقع . .

خففي العتب أوصدي الباب قومي ... واطمئني فالشيخ غادر داره
لست أخشى عليك من أمك السوء ... فكم رحبت بهذي الزياره
عانقيني واطفئي غلة الروح ... فجسمي براه ما في قراره

لقد هيأ فهد العسكر للمرأة سبل الحرية الفردية حتى (الأم) هي الأخرى ترحب بزيارة ابنتها للحبيب بعد مغادرة الشيخ (رمز التحفظ والتدين) داره . . وهذا أمر خطير إذ يناقض العادات والمعتقدات السائدة في ذلك الوقت . . فإن كان

هذا ما لم يكن يحدث بالفعل فالشاعر أو الفنان ليس مطالبا هنا بتصوير الواقع كما هو وبما عليه ولكنه يصور الواقع بما ينبغي أن يكون عليه هذا الواقع فأحدث بذلك تخلخلا وانهيارا في البنيان الفكري للمجتمع بهذه الصور التي راحت تغتال القيود الاجتماعية حول المرأة لاعطائها حريتها الفردية في التعبير عن مشاعرها وعواطفها دون قيود أو شروط وكانت هذه إحدى القضايا البارزة في شعر فهد العسكر . .

* * *

واقتحم فهد العسكر قضية أخرى هي قضية سفور المرأة وهي مرتبطة أوثق الارتباط بالحرية الاجتماعية للمرأة فقد استطاع أن يربط شعر الحب والغزل بتلك القضايا ونجح في ذلك ونادرا ما نقرأ شعرا في الحب عند فهد العسكر ونجده يخلو من إحدى هذه الظواهر فالمرأة في شعره تريد الانطلاق من أسر البيئة وإطارها الفكري فتميزت الصورة الشعرية بالغزل الرقيق أحيانا والغزل المقترن بالشكوى ولكن بصورة عامة ظلت المرأة متمردة وجريئة وايجابية في مواقف الحب . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لاتخافي غفل الواشي ونام الرقباء
فاسفري يا ربه الحسن وعنوان الوفاء

لأرى الطرف الذي كم صرع الصب أحوراره
وأرى الخد الذي كم أخجل الورد احمراره
وأرى الثغر الذي أحلى من الخمر رضابه
وأرى الجفن الذي كم مزقت قلبي حرابه
وأرى الجيد الذي كم أدهش الغصن اعتداله

إن أزمة فهد العسكر كانت وليدة تطرفه في أحاسيسه ومشاعره وخياله فلا ريب أنه كان يحلم بمدينة أخرى على غرار تلك المدن التي كان يصورها الفلاسفة والمثاليون في كتاباتهم . . مدينة مثالية حالمة بلا قيود على حرية مشاعره ولا عائق أمام انطلاق عواطفه الجياشة نحو المرأة التي يهواها . ولأنه فشل في تحقيق ذلك الحلم الذي يراوده في فرض ذاته على مجتمع ذي أفكار مختلفة عنه حتى شعر بالغربة في بيئته

وبين أهله وانكسر الحلم الخفي في أعماقه وتأزمت نفسه ونشأ الصراع بينه وبين المجتمع . صراع بين القديم والجديد . . الصراع بين الشاعر بما يرمز إليه من فكر متحرر متطور مشبع بمختلف الثقافات الجديدة والمجتمع وما يمثله من بيئة ضحلة الثقافة سقيمة الفكر جدباء وإذ يحاول الشاعر أن يجد سلوا لأحزانه وآلامه التي نتجت عن صراعه مع البيئة فلايجد إلا الخمر ووصفها والتغني بها ومعاقرتها مع المرأة التي يهواها فكان يمثل بذلك هروبا من المواجهة ومحاولة للنسيان .

أكثيرة الشكوى حنانيك اهدأي ... وترفقي بالشاعر المنكود
الصبح لم يسفر واهلك نوّم ... قومي معي نحسو المدام وعودي
فترددت وتململت وتنهدت ... وبكت وطوق ساعداها جيدي
ما أن أقول لها خذي معبودتي ... إلا وقالت هات يا معبودي

وهكذا يتمثل الموقف الهروبي للشاعر مع الخمر والنساء . . ولو قدر لهذا الشاعر حقا أن يجد تأييدا لأفكاره وملتقى لوجدانه أو يحقق تلك المكانة الذاتية التي يطمح لها أو يحقق المدينة أو العالم الجديد لما هرب إلى الخمر،فالشاعر قد ضاق نفسه واختنق من موقف مجتمعه والناس من حوله حتى يقال ان أهله تبرأوا منه وقاطعوه فلم يكن أمامه إلا الهروب إلى الخمر والنساء وإن كان تمادى في خياله في تصوير ذلك فإن الخمر والنساء هنا رمز لاستمرار تحديه للمجتمع . . رمز للصراع بين الفكر العتيق القديم المحافظ والفكر الجديد الذي يؤمن بالتطور والأخذ بأسباب التحضر والرقي الاجتماعي،وليس معنى ذلك أن القضايا التي أثارها فهد العسكر تنحو هذا النحو من أجل التقدم والرقي فقط . . ولكن من أجل ارتقاء مشاعر الانسان في أن يعبر عنها كما يهوى واطلاق أسر العواطف والأحاسيس والاهتمام بالانسان الفرد على أنه مجموعة من المشاعر والعواطف والعلاقات الانسانية وعندما فشل الشاعر في توصيل هذا المفهوم إلى الناس هجروه ونبذوه وحاربوه فاضطر للهروب إلى الخمر حتى أن المرأة تؤمن بأفكاره هذه . .

ثم قالت ورذاذ المطر حبس الطير ولما يطر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هـات بنت النخل يـا بن العسكر لايـطاق الـصحـو في ذا الـبـلد
هـاتهـا بيضـاء من خمـر العـراق كم بهـا حلق بـالنـدمـان سـاقي
ولنعـاقـرهـا معـا قبـل الفـراق ثـم قـامت ونـضـت مـا تـرتـدي

ويتصدى فهد العسكر في إثارة قضية أخرى تتعلق بالمرأة وهي موقف الأسرة وتعسفها في فرض آرائها على المرأة فهو يصف صورة فتاة يرغمها أهلها على الزواج من رجل كهل لكونه ثريا فيكشف الشاعر هنا عن احد عيوب مجتمعه والنواقص التي يعاني منها فالأسرة أو الأهل مركز السلطة والآمر الناهي لاتقيم اعتبارا لرغبة الفتاة ومشاعرها وحريتها في اختيار شريك حياتها فينقد الشاعر هذه الفكرة نقدا لاذعا .

زجـوك وأسـفـاه في سـجـن الـتـقـالـيـد الـقـديـمـه
لله مـا كـابـدت فـيـه مـن الأسـالـيـب الـعـقـيـمـه
لادر درك مـن أب فظ ووالـدة لئـيـمـه
يـا قـاتـل الله الـتـعـصـب كـم تمخض عـن جـريـمـه
قـد ارغموك عـلى الزواج بـذلك الشيخ الـوضيـع
اغـراهـم المـال وهـو المـال مـعـبـود الجـمـيـع
فـقضـوا عـلى آمـالـنـا وجنـوا عـلى الحب الـرفـيـع
مـاراع مثـل الـورد يـذبـل وهـو في فصـل الـربـيـع

ولايمكن أن ننكر صدق هذه الصورة عن المرأة المغلوبة على أمرها ورغم أن هذه الصورة للمرأة تناقض الصور الأخرى الايجابية لها في اشعاره السابقة حيث كانت المرأة متمردة لا تبالي بقيود المجتمع وتحتسي الخمر مع الحبيب إلا أننا لا نرى تناقضا إطلاقا في الصورتين لأن هذا هو المجتمع بكل مايحمله من متناقضات اجتماعية فبالرغم من التطور الهائل لمسيرة المرأة عبر التاريخ الاجتماعي حتى اليوم فلازالت هذه الصورة للمرأة المنكسرة التي تساق بالقوة إلى الزواج من الرجل الذي يكبرها بمراحل كثيرة من أجل المال أو المنفعة الخاصة وذلك بسبب تسلط الأسرة فهذه

الصورة لازالت موجودة في بعض المجتمعات العربية حتى اليوم . . وكان فهد العسكر يريد أن يحطم هذه الصورة التي تجعل من المرأة تابعا بلا فكر أو احساس .

* * *

ويتناول الشاعر قضية أخرى تخرج به من التيار الوجداني الذاتي الى المجال الموضوعي الانساني الاجتماعي وهذه القضية هي قضية الفوارق الطبقية بين الأفراد فالثري لايرى الا ثراءه والفقير دوما يعاني ويتألم والشاعر يتمزق لهذه الصورة الكريهة فيتخذ من مناسبة دينية هي (المولد النبوي) ضرورة إلى التراحم والتآخي والتعاطف الانساني بين أفراد المجتمع وهو هنا يخاطب الرسول (ﷺ) قائلا . .

أما الفقير فلا تسل عن حاله ... حال تثير الهم والأحزانا
مسكين لايشكو وينـدب حظه ... ونصم دون شكاته الآذانا
أما الغني فقلبه ويمينه ... لايعرفان العطف والاحسانا
يختال في حلل الهنا بينا ترى ... الف التعاسة ذاك والحرمانا
المال سيدنا ونحن عبيده ... أولم تر التسليم والاذعانا
أو ما ترانا بالمبادىء والضمائر ... كيف نفدي الأصفر الرنانا
والكل منا بالموائد والملابس ... والأثاث يفاخر الاقرانا

أوليست هذه الصورة عن المجتمع الذي كان يعيشه فهد العسكر لازالت تعيش بيننا حتى الآن ؟ . إن الفردية تسيطر على أفراد المجتمع العربي الآن ولا يوجد من يبدأ بنفسه،لا توجد القدوة الحسنة المثلى التي يقتدي بها الأفراد وبذلك جاءت هذه الصورة شاملة ومتميزة في نقد الواقع وبيان الطبقية بين الأفراد بعيدا عن الخيال والمبالغات الشعرية فأجاد فهد العسكر تصوير ذلك لبيان الفوارق الطبقية وأثرها السلبي على المجتمع وعلاقاتهم ببعض . .

* * *

ويتطرق فهد العسكر إلى قضية أخلاقية أخرى وهي عن تلك الفئة من

الناس التي تنافق وتراوغ لتحقيق المنفعة الذاتية المادية ثم تمارس رغم تدني أخلاقياتها دور المصلح الاجتماعي أو الواعظ الديني وفي المقابل من ذلك يقف الشاعر فهد العسكر ليوضح هذا التباين والتناقض في أخلاقيات هؤلاء الأفراد فهو يظل مصرا على اعتلاء صهوة العلا والترفع عن الدنايا فيخاطب وطنه قائلا : -

وطني ولي حق عليك أضعته ... وحفظت حق الداعر المتسكع
فلو أن لي طبلا ومزمارا ... لما اقصيتني أو أن لي في المخدع
هذي عقوبة موطني وجنايتي ... هي أنني لتيوسه لم أركع

وأجاد فهد تصوير هذا التناقض الاجتماعي وعيوب مجتمعه حتى تأزمت نفسه وانشطرت روحه في أعماقه لأنه كل يوم يمر عليه يشعر أنه يبتعد مراحل عن دنياه وعالمه المثالي فانقلبت الأمور أمام عينيه فصار يرى الطبيعة التي تغنى بها فوق ضفاف الخليج مبعث الهموم والأحزان والتشاؤم ويشعر في الظلام الحالك بالبهجة وفي شروق الشمس الحزن والدموع والآلام . .

مالي أحيي الشمس مغتبطا ... عند الغروب بأروع السور
مالي أودعها إذا طلعت ... بمدامعي وأعود بالكدر
مالي أرى الغربان طائرة ... والصقر دامي القلب لم يطر
مالي أرى جاري يكفرني ... ويقدم القربان للحجر

ونرى هنا صورة متباينة التناقض بين فهد العسكر والآخرين تتصل بالمعنى العام للحياة وأخلاقيات الأفراد فهناك فئة من الناس تضلل الآخرين بسموم أفكارهم وادعائهم المعرفة والثقافة فالذي ينهاك عن فعل تراه يقوم بأفظع منه في الخفاء وإذ تنقلب موازين الاخلاقيات الاجتماعية بهذا الحد تغلب على الشاعر الرؤى الحزينة لأن الذين يتهمونه بالكفر يمارسون الوثنية والكفر ذاته وهو يشبه نفسه هنا بالصقر رمز الاباء والقوة والعظمة ولماله من دور كبير في الصحراء العربية فالصقر منكسر والغربان تطير وتجول وتتسيد الفضاء وقد ربط الشاعر هنا بين التناقض الذي يعيش فيه والتناقض الذي يعاني منه مجتمعه وأن ما أصابه من ألم

وحزن هو هذه الازدواجية والوجوه الملونة التي تنافقه وتتناقض في اخلاقياتها . فأصبح غروب الشمس يبعث الغبطة في أعماقه وشروقها يبكيه لانه منكسر قابع في سجن نفسي رهيب والغربان تحوم في السماء . . والغربان هنا رمز إلى كل الذين ظلموه ووقفوا ضده واتهموه بأفظع التهم ونسوا تماما أنه فنان يحلم بالتغير وبمجتمع جديد . .

* * *

ولاينسى فهد العسكر أن يضع يديه على أخطر أمراض المجتمع في كل عصر وهو الجهل والأمية فيدعو إلى محاربة هذا العدو الخفي والأخذ بأسباب العلم والنهضة والمعرفة . .

أيها السادة هبوا نحو مجد قد دفن
أيها الشبان هبوا نحو علم قد حسن
يا بني العرب فهيا واتركوا هذا السهاد
إنما الذل مخزى إنما الجهل رقاد

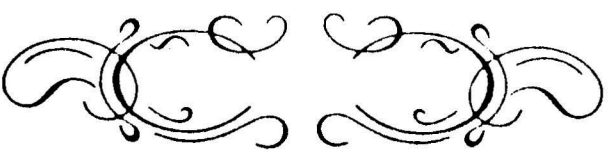
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وهو في سبيل اثارة قضية محاربة الجهل والأمية يربط ذلك بالتراث العربي للأمة العربية وتاريخها المجيد حيث كانت الحضارة العربية مركز اشعاع للعلم والعلماء والمعرفة فيقول : -

وعن الرشيد وكيف اشرق تاجه شمسا أنار سناؤها البلدانا
في عصره الذهبي صفق راقصا طربا على هام السماك لوانا
والمجد مزدهر مطل من عل عشق الوجود شبابه الريانا
كانوا على وجه البسيطة سادة أبدا وكنا بعدهم عبدانا
عبث الفساد بنا فبعثر ملكنا والجهل شتت شملنا فكفانا

وبذلك استطاع فهد العسكر أن يربط مواقفه الشعرية التي تميزت بقضايا تمس جوهر المجتمع بالناس ومشاكلهم فارتبط الشعر بالواقع والتزم بمفهوم الفن نحو الثورة والتغيير وان تكن ثورة فهد العسكر لم تلق المناخ المناسب لتفهم ابعادها فيمكن أن نقول انه الفنان الذي صاح بصدق وتغنى من أعماقه ورحل عن العالم ونحن لازلنا نتفحص آثاره وتراثه . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



القلّيس

شعر : محمد سعد بيومي

في عصور الجاهلية أنشأ أبرهة الحبشي بناء يقال له القلّيس ليصرف الناس عن الطواف بالبيت العتيق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يأتون اليك طيورا ، خلف بذور فصليه
في جعبتهم أحلام الدنيا
يلتهمون الصور العرى ، يذوبون على . .
أغنية الغيم ، يدوخون مع اللقيا
ويتوهون بسوق العطر ، وينكفئون على ثلجكِ . .
يغترفون ، من النافورات الليليّة
في المدن القليسيَّة
والمدن القليسية تجتثّ رحيقَ الزوّار . .
وتدفق فيهم ، وتثافنهم ، تغرس فيهم . .
دمها الثلجي ، وحاستها الخشبية
وتجمّع أصحاب الرسِّ ، وأصحاب الفيل . .
على المائدة الحجرية

تفتح بوب النتح ، وبوب الرشفِ ،
وبوب الضحكات الغجريّة
وتمدّ السرطان ، وأنهارَ اللبلاباتِ . .
وتلتقم الأفئدة الوتريّة
وتمدّ الأذرع ، تفتح أعينها الشبقيّة
وتصيح السمع ، وتبذر آهات الدفءِ . .
وتغرس خطافات السلبِ . .
وأظفار الكربِ . .
وحين تمصُّ رحيقَ القادم يصبح ذكرى . .
أو يلقى في جوف قوالبها الشمعيّة
مسكينٌ هذا القادم من مدن الدنيا . .
مدن الكثرة ، والعثرة ، والنسمات الفطريّة
يدفع حاسته ، فطرته ، ويقدّ بكارات العذريّة
يترك طين الأرض ، وأطيار البرِّ وأحضان البحرِ . .
وأغصانِ النهرِ . . وماء الأسفار الروحية
ويحط الطائر ، بعد عبور الماء ، وتيارات الريحِ . .
على القبضات الهمجية

مسكين هذا الطائر ، حطّ على الأسوار الشوكية
والأسوار الشوكية في المدن القليسيّةِ تغرسُ . .
أنياب الأظفار ، وتمتصّ رحيقا ، ورؤى . .
وتضئ السوسنة الدمويّة
لطيور أخرى بريّة
وطيور البرِّ تموج ، وتزحف ، تخلعُ . .
ثوب الفطرة . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فوق الأحجار الوثنية
والأسنان الأحجار ، ، تدق بعنف فوق رؤوس الطيرِ . .
وتسقيه النشوة . .
تفسد فيه الروح الفطريَّ ، تبدِّله بالريش القليسيَّ . .
تموِّجه ، وتخدِّره ، وتشكله . .
بالأصباغ ، وتطلقه . .
في الساحات بمهر الكلماتِ ، بريق الخطوات القبليّة

مسكين طائرنا الهزلي . . أضاع الرحلةَ . .
والنبض ، وصاح صراعاً . .
وضياعاً . .
وصدى الصوتِ ، قعيد . . يتكسّرُ . .
فوق جدار الصمت ، وفوق سرابٍ ، ونداب ،
وعذابات الطوفان القليسيِّ . .
وفوق الجزر الوهمية
يرتدّ الصوت اليك حثيثا ، . .
ولفيفا في الخرقِ السودِ ، فصوتك يا طائرهم . .
أرضى قليسيٌّ ، لا يعلو ، لا يجرؤ أن يعلوَ . .
فوق جدار القليس ، ويذوى . .
يتكسر ، قبل البوب القدسيّة

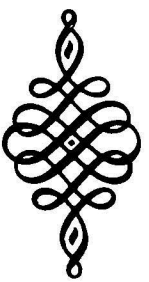
يتبعثر ريشك يا طائرهم . .
تبدو سوأتك الكبرى ، تتكشف ، تبدو الآن ذبيحا . .
وقبيحا . .
ترفع رايات القليس السود . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتصبح ماردها الأوحد . .
في الكرّات اليوميّة

مسكينٌ يا طير السوء . .
تطيرُ . .
وتسقط فوق الأرضِ . .
وتهوى . .
تتقلصُ . .
جوف الطبقات التحتيّة
والمدن القليسيّةُ . .
تمتدُّ . .
وتمتدّ ، وتزحفُ . .
تبحث عن طائرها القادمِ . .
والساقطِ . .
من مدن الروح العلويّة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



مشاهد من كوميديات عربية لألفريد فرج

كيف يعيش الواحد في قصور الهواء ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ترجمة : عبد الحكيم قاسم

شذرات مسرحية في قاعة النادي في أكاديمية الفنون . أمسية وداع شرقية - ألمانية لضيف ادارة التبادل الثقافي الألمانية ألفريد فرج الذي تجلى لنا فيها كواحدٍ من أحسن كتاب الكوميديا للمسرح المصري اليوم . أمسية أكثر إمتاعاً من عروض برلينية أولى باهظة التكاليف قدمت - في مشاهد عجيبة من خوارق ألف ليلة - مِزَحاً دارجة وألاعيب حواة فارغة .

من طاولات سوداء واطئة بنيت خشبة مسرح على شكل حدوة الحصان أمام صفوف مكتظة بالمشاهدين ، إن الكاتب الذي يعيش عادة في لندن والذي حجب

عنا حتى اليوم طول مدة إقامته هنا ، استطاع أن يكون له في برلين دائرة أصدقاء لا يستهان بها . بالنسخ في أيديهم ، ولكن بحماس متقد من الايماء والتلويح والاشارة ، كرّس ممثلون ألمان من هيئة المسرح البرليني الحر أنفسهم لتشخيص الحواديت الممتعة للأمير الخاوي الوفاض علي جناح التبريزي ولعرض رحلة طالب العلم البطل سليمان الحلبي من حلب حتى القاهرة بنية قتل ساري عسكر قوات الاحتلال الفرنسية . بلاغة وأخيلة شرقية قديمة تلك هي المنابع التي ينهل منها ألفريد فرج ويحولها بحسه الشعري إلى مسرح للمتعة الخالصة يتمتع بالنجاح ليس فقط في وطن المؤلف مصر وفي كل بلد يتكلم العربية ، بل وينبغي أن يؤتى به إلينا وأن يعرض هنا علينا .

في ترجمة ألمانية جيدة جداً قام بها ناجي نجيب ظهرت الكوميديا « على جناح التبريزي وتابعه قفة » في منشورات دار « مطبوعات الشرق » . إن مجرد قراءة النص تثير الرغبة في رؤية ذلك التندر ـ الحكيم والعبثي في آن ـ بعلاقة السيد والتابع وقد تحول إلى مسرح نابض . هرمان فنهارتن وكريستيان بيكرت مكنونا أن نتذوق شيئاً من ذلك . رأينا مأدبة لا وجود لها تقام وتلذ أطايبها للآكلين ، ومن كيس خادمه ـ المختار لخدمته المرغم عليها ـ يوزع على جناح التبريزي الدراهم على الفقراء ، ثم ينتهي به الأمر كجائع مُفْترٍ للكذب إلى سجن حاكم ولاية من ولايات الصين . لكنه في نهاية الأمر أمكنه أن يستهوي ابنة الملك وان يستولي على خزانة الدولة برمتها بحكاياته عن قافلته المزعومة التي لا تصل أبداً . ثلاث حكايات من ألف ليلة صرن الى حقيقة مسرحية تحتفظ بجوهر سحر القص القديم دون احتياج لجن صالحين أو طالحين في مسرح فرج الجديد والعجيب .

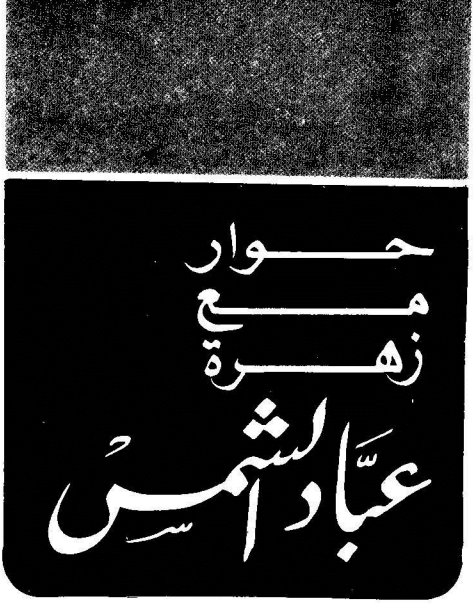
وفي دراما الترحال الثانية ، في دور ابنة شيخ المنسر العاصية لأبيها حداية ، ذلك الذي ترقى تحت الفرنسيين الى محصل ضرائب ، قدمت ريناتا باور في كثير من العذوبة المقابل الأنثوي لأمير الفشر على جناح التبريزي ، حتى إن الواحد ليأسف ان فاته أن يراها في دور الأميرة المدللة .

وقبل العرض قدم بروفيسور دكتور شتبث من جامعة برلين الحرة خلاصة موجزة عن نشأة المسرح العربي الذي بقى قروناً محصوراً بالتحريم الاسلامي للتشخيص والتصوير يدور حول بداياته القديمة في هزليات المهرجين الشعبيين . ومنذ أن انتصف القرن التاسع عشر نجد مسرحاً عربياً يحرر نفسه تدريجياً من مثال المسرح الأوربي .

وقد أجاب المؤلف وإلى جواره مترجمة على الأسئلة التي قدمت إليه بعد نهاية العرض . يعتقد فرج أنه في مسرحه وفق إلى لغة فصحى مفهومة في كل أنحاء العالم العربي رغم اختلاف اللهجات المحلية التي لا تختلف عن بعضها البعض في حقيقة الأمر اختلافاً كبيراً .

عن مجلة
درشبيغل الالمانية
بقلم: هدفيج رودة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



شعر
عبدالرحمن عبدالمولى

بلادي . .
أريد بلادي
فمن ردَّها عن دمي ؟
ومن شدَّها من فمي ؟
ومن أنبت أيام هذا البعادِ ؟
أريد بلادي
يقولون يا قلبُ : خانتك هذي المدائنْ
يقولون خانت . .
وليسوا بدارين أن فؤاد بلادي كقلب المآذنْ
فهل خانت الوردة العطر يوما . .
وهل باعت الموجة الشط يوما . .
(هو البعد ـ يا قلب ـ من خاننا) . .
فرُدَّت طيور التلاقي على عقبيها . .
ورُدَّ اشتياقي اليها . .
(هو البعد ـ يا قلب ـ من خاننا)
أسائل عمريَ . . إن لملم العمر أشْتاته ، وتسربل بالغيم ، إن زارني اذ يحطّ المساءْ
أسائله : ما الذي يقتل الحب يا عمر . . يهتف : لستُ بقاتلْ . .
وإن طيور المسافات زُغْب الحواصلْ . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإن المنية لا تَستبيح اغتيال الهوى ، واغتيال البِلابلْ . .
وليس الهوى في الذين يدسّون في الظهر حدَّ المقاصلْ . .
وإن طيور المسافات زغْب الحواصل . . فانظر . .
لمن ردّ لقيا الجفون عن العين ، فانظر لمن يبذر البعد بين الأناملْ
فأصرخ : أين بلادي . . أريد بلادي
(فؤادي بوادٍ وعيناكِ دوماً بوادي)
لماذا أراها على البعد ـ دوماً ـ عيون الوطنْ . .
وقد علم الحب سر المواعيد بيني وبين الثرى
لماذا يظل على البعد وجه الوطن
فهل وجهه العذب بات أسير زمن ؟
وقلبيَ بات أسير زمن ؟
لماذا تكون المسافة بيني وبين بلادي صحراءَ ، والحبُّ صحراءَ غير تثير الدّمنْ ؟

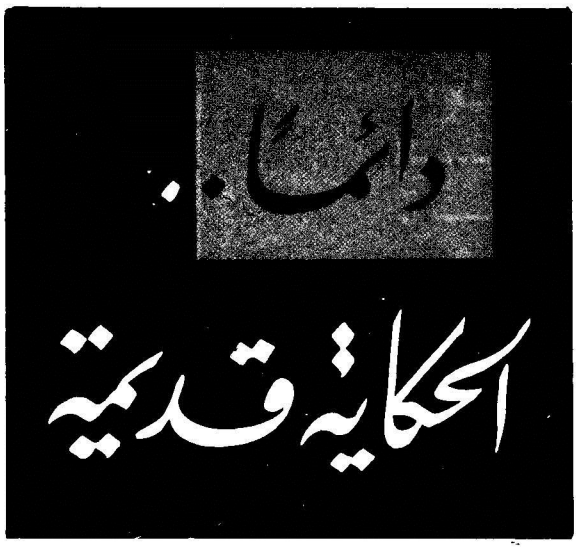
●

لقد شاب في الصدر ـ يا أرض ـ عمر التساؤلْ
وقد قيل إن طيور المسافات زغْب الحواصلْ
(هل الأرض تفزع . يا أرض ـ من قول قائلْ) . .
فتهرب كل عيون الصبايا . . تفر المنازلُ . .
يسقط لون السماء ، وتهرع ـ مقطوعة الرأس ـ كل السنابلْ
هل الأرض تفزع ـ يا أرض ـ من قول قائل
« تقول ليَ الأرض : رأس الهوى تحت حد الحروف المقاصلْ »

●

وأصرخ أين بلادي . . أريد بلادي
أريدك يا أرض . . ما بيننا ليس هو الحبُّ . . ،
ما بيننا حبة الرملِ . . ،
أو حبة القلبِ . . . ،
أو حبة المستحيلْ . . .
أريدك يا نيل عدْ ليَ . . قد طال هذا الرحيلْ

●●●



شعر
محمد القدوسي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

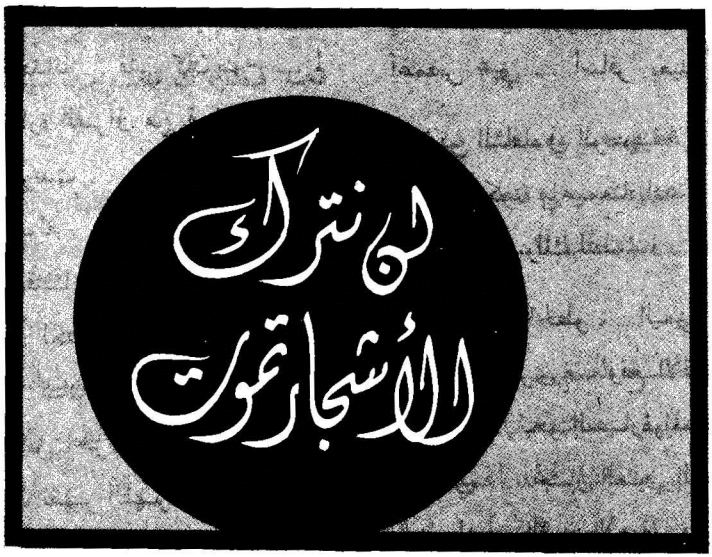
صغيران . . جاء المساء إلينا
ليعلن . . أن السحاب عقيمُ
وأن النجوم تهاجر مِنَّا

صغيران كنا
وفي الجيب بعض القروش وتَبْغَه
وبعض الهمومْ
وكلُّ العصافير تبدأ مِنَّا
سألتكِ . . كان الصباح بعيداً
وكان السؤال كلاماً قديمْ

خلال الحوانيت بعثرتُ وجهي
قميصي تمزق من فوق صدري .
وضاعت معالم نعل الحذاءْ
تدور الدقائق تلو الدقائقْ
أدور . . وأنت البعيد . . وقلبي . .
. . صغيرٌ . . صغيرٌ . . كحزن الطفوله
وبالوقت ضاعتْ حروفُ اللقاءْ
وفي القلب بعض القروش وغامتْ
خلال الدموعِ ملامحُ دربي
وفي الليلِ . . رُدْتُ الرفاقَ . . ملاذي
جمعتُ جُنيهاً مِن الأصدقاءْ
رتقت القميصَ . . وخِطْتُ الحذاءْ
طلبتك . . ما كنتِ . . كان الوجود ووجهي . .
. . فقيرين في عرف سرو الطريقْ
لقيتكِ . . كان السؤالُ جديداً
وجاء الجواب يشيع رماداً
ونحن نُكَوِّمُ أحلامَ عشقٍ . . جوارَ الجدارْ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com





قصة : حسن نور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كدقات المطرقة على السندان تهوي الكلمات على قاع الجمجمة . وعلى جنباتها . . أمك أصبحت بغـ . .

لا . . لا يمكن . . أمي أشرف من الشرف نفسه . . تحملت الكثير . . سنوات طويلة عانت . . لكنها لم تهن . . لم تكل . . صمدت كأحسن رجل يستطيع الصمود . . كادت خلالها الأشجار تذبل . . تتساقط أوراقها . . يضمر ساقها . . لكنها صمدت في وجه الرياح . . العواصف . . كل صباح كانت تسقيها . . أعداء الخضرة والحياة حاولوا بمعاولهم جذرها . . كلما حاولوا كانت تهب واقفة تعيد تقويم السيقان . . بناء الأحواض حول التربة . . تأتي بالماء . . تسقيها . . فتخضر الأوراق . . تنتشر الظلال . . ورودها تنشر رائحتها الشذية .

ماذا حدث إذن ؟

داخل ذاتي انكمش . . في حضنها

أخذتني يوم أن غادرتها . . لسعتني دموعها لما تلامس خدانا . . قلبي كان ينوح . . لم أجرب مرارة الفراق من قبل . . ففي كنفها ترعرعت . . بين أحضانها ذقت حلاوة الطفولة . . أحلى أيام الشباب . . حقيقة ذقنا سنوات الشقاء . . الحرمان . . لكننا كنا نؤمن أنها لن تستمر طويلا . . كان العرق يكسو الوجوه مختلطا ببعض الحزن ، لكننا استطعنا في النهاية أن نقهر القهر ، فولت تلك السنوات وانمحت الظلمة ، وغادرتك يا أمي صباح اليوم التالي . . كان صباحاً جميلاً . . انتشرت أشعة الشمس في الأفق ، وانتشر عبق الورود ، فاعتلت البسمات كل الثغور . .

جاءني الاخوة . . . حتى الصغار لم يتخلفوا و . . كانت حركاتهم خفيفة مرحة . . أصروا أن لا يتركوني الا في المطار . .

لا تتأخر كثيرا . . لا تهمل الخطابات . . قالوها والأيدي تلوح في مرح ، والبسمات لم تغادر الشفاه .

كيف لي إذن أن أصدق أنك أصبحت بغيـ . . لا . . لا . . لن أنطقها أبدا . . **فأنت لا يمكن أن تكوني . .**

بين كفي يديَّ أدفن وجهي . . أغمض عيني . . أسافر بعيداً .

لكن الشفاه في الوجوه الحزينة قالت : أملنا أن يكون ما سمعناه ادعاءً . . ارسل لنا بمجرد وصولك لتطمئننا .

جرجرت الخطو . . اليمنى تتقدم . . تتأخر اليسرى . . وقع الأقدام مارش حزين . . نحو السيارة المنتظرة أخطو بمفردي . . تجتاز العين النافذة . . تصطدم باللون الأصفر الكئيب . . بالنباتات الشوكية والصبار . . ورياح السموم تلفح جانب الوجه فتشويه .

على مرمى البصر تبدو الأرض الأسفلتية الدائرية . . أبراج المراقبة . . السيارات . . تقف السيارة . . بيد باردة مددت جواز السفر . . التقطه رجل يرتدي حلة سوداء بزرايز معدنية لامعة . . التقطت العينان البيانات . . علامات القرف والاشمئزاز احتلت كل مساحة الوجه . . أشاح بوجهه بعيدا . . اجتزت الحاجز الحديدي . . بصقت على كل شيء . .

سألتني الفتاة البيضاء الرشيقة بالانجليزية : شيكن أور ميت (دجاج أم

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لحم) لم أجد رغبة في الطعام ولا في الكلام . .

هزت كتفيها ، ومطت شفتها السفلى . . انصرفت وهي تنظر إلي « من فوق لتحت » وكأنها تقول من أنت حتى . . .

الشاشة الصغيرة البيضاء أمامي . . عليها شاهدت فيلما قصيرا عن قبيلة مات كبيرها فانهار أحد أعمدتها ، لكن بقية أفرادها صمدت أمام كل الأنواء . . وتغلبت على كل الصعاب التي صادفتها فوقفت على أقدامها . . وانتهى الفيلم على العضو المنهار سائرا في صحراء التيه . . ينقل الأقدام بصعوبة على الرمال ، . . الجسد بات مكدودا ضامراً لا يغطيه سوى أسمال .

تنتشي النفس . . في الجسد سرى الدفء .

أخرج علبة سجائري . . أشعل سيجارة . . آخذ نفسا عميقا تخترق الكلمات الانجليزية المنبعثة من السماعة الصغيرة المثبتة فوق رأسي : بليز . . نو سموكنغ (نرجو عدم التدخين) .

أطفأت السيجارة . . تناولت احدى الصحف . . حاولت القراءة . . رأسي لم تعد قادرة أن تستوعب شيئاً فقذفت بالصحيفة بعيدا .

تعاود الكلمات طنينها . . أمك

لا . . لا يمكن . . لم تفعل ذلك في أحلك أيامنا . . كان يمكن أن أصدق لو أنها فعلتها خلال هذه السنوات . . لكن الآن . . بعد انتشار الخضرة والظل وأريج الزهور . . فلا . . لا

حول نفسها دارت الطائرة عدة مرات . . احتضنت العجلات الأرض الملساء . . نفس الصوت الذي نهاني عن التدخين يهنيء بسلامة الوصول . . إلى الخارج جريت . . لامست ركبتي الأرض . . لثمت شفتاي الأرض . . أركض وراء سيارة أجرة . . القيت باسم الحي إلى السائق .

دخلت الحارة . . الوجوه واجمة . . صامتة . . الحزن يعتلي كل شيء . . الأسود غطى على كل الألوان . . العتمة تنتشر . . أين الأضواء . . تجول العينان تبحثان . . فوق واجهات المحال . . المطاعم . . المقاهي . . الخضر . . الفاكهة . . الخضر . . الكشري . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفـول والفـلافـل . . لم أجـد سـوى الظلمة .

الشفاه صامتـة . . مطبقـة ، والعيون زائغـة . . مـاتت الكلمـات الحلوة . . كانت تعطي لحياتنا طعما حلوا . . مساء الجمال . . ليلتنا فل . . نهارنا أبيض . . ورد . . حليب . .

أين القفشـات الحلوة التي عرفتم بهـا وأين ، وأين ، وأين ؟ ماذا أصابكم ؟ لو أن الغد قد مات ما ابتليتم بما أراكم فيه .

تجـرأت وسـألت . . خـرج الصـوت مشروخاً حزينا . . كلمـات كثيرة كثيـرة سمعتها لكنني لم أتبينها .

آه . . أول الغيث سيل . .

الخطوات الحزينة تتقاطر إلى البيت . . مـاهـذا . . مـاذا أرى . . ؟ وأيـن المنـدرة . . أيـن المضـيـفـة . . أيـن السـاحـة . . ؟ لمـاذا يقف البيت هكـذا منفـردا . . حتى الطوابق العلويـة لم تعد موجودة . . أصبح قصيراً قميئاً .

المـدخـل تكسـوه الـظلمـة . . تجتـاز الـظلمـة المـدخـل . . تنتشـر في كـل الأرجـاء . . مـن حقـيبـتي أخـرجـت شمعة . . أضاتها . . صعدت الدرج . . بأعلى صـوتي ناديت : أمي . . أمي . . أين أنت ؟

على صوتي جاءت إمرأة صبغت الألوان كل وجهها . . بليـاتشو . . أو بغـاء . . ربما

أشحت بوجهي بعيدا .

أمي قمحيـة اللون . . شعرهـا أسود ناعم . . تغطي الوجه والشعر بطرحتهـا البيضـاء . . ركبتا أمي خشنتـان من أثر الـسجـود . . بـسمـة أمـي حـلوه . . رقيقـة . . لا تفارق الشفتـين . . أحبت كـل الناس . . فـأحبوهـا . . كفـا أمي ناعمتان بيضاوان من غير سوء . . مدتهما لكل الناس .

أزعق . . أزعق . . أمي . . أمي . . أين أنت ؟

يخرج صوت المرأة المومس يزعق : أنا أمك

صرخت في وجهها : إخرسي .

يهتز ضوء الشمعة في يدي وأنـا أزعق على أمي . .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أسمع صوتا واهنا كأنه آت من وادي سحيق . . أجري ناحية مصدره . . اصطدم بباب موصد . . من ورائه ينبعث الصوت . . بكل قوتي دفعت الباب . . حطمته . . أشهق فزعاً . . أمي ملقاة في ركن الحجرة . . أصبحت كعود البوص . . العينان غائرتان والوجه ممصوص . . كل هذا لا يهم ، ولكن . . ما هذه القيود التي تكبلك يا أمي ؟! . . أمي . . أمي . . لم لا تتكلمين . أنا لا أسمع سوى الأنين .

تمتد يداي إليها . . لم أكد ألمسها حتى جاءني رجال لم أرهم من قبل . . رجال كثيرون . . صفر الوجوه . . معقوفة أنوفهم . . رفيعة تجتازها الأسنان شفاههم . . ضيقة ماكرة عيونهم .

التفوا حولي . . التفوا والتفوا . . ضاقت الحلقة حولي وضاقت . . اختنق . . أرسلوا زفراتهم . أطفأت زفراتهم الشمعة . . أصوات ضحكاتهم تنتشر . . تموت أصابعي على الشمعة المنطفئة . . بقوة عشرة أحصنة دفعت البعض . . طرحتهم أرضا . . أضأت الشمعة . . جريت . . نزلت الدرج . . كل خمس درجات في قفزة واحدة . . كانت الأسئلة تتقافز في رأسي مع قفزات الأقدام على الدرج . . من هذه المرأة العاهرة ؟ ومن هؤلاء الرجال أصحاب الأنوف المعقوفة ؟ ولماذا قيدوا أمي وألقوها في حجرة منفردة ؟ لماذا أصبح حينا مظلما ، لماذا توارت القفشات . . البسمات . . الضحكات ؟ !

أصبحت في الحارة . . أزعق بأعلى صوتي : يا كل إخوتي .

في لحظة جاء الرجال . . تحلقوني . . سألت وسألت .

جرجرنا الخطو إلى المقهى . . تقاطرت إجاباتهم في الرأس .

وماذا ننتظر ؟!

تقاربت الرؤوس . . تبادلت الشفاه الكلام . . احتدم النقاش .

هدأت العاصفة الكلامية ، فتكلم الأخ الأكبر . . تكلم وتكلم . . كالقضايا المنطقية بنى وجهات نظره . . مقدمات ونتائج . . على وجوهنا ظهرت علامات الموافقة . . سأل الأخ الأوسط : ولكن من أين نبدأ . . وكيف ؟ قال الذي يلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأكبر : قبل أن نبحث عن الإجابة أرى أن نبدأ بـ . . لم يكمل جملته . . غابت كفه اليمنى في أحد جيوبه . . أخرج الكتاب . . وضعه على المنضدة التي تحلقناها . . امتدت الأكف . . تمتمت الشفاه بالسورة . . آمين . . غرق كل منا في أعماقه يبحث عن بداية الخطوات . .

وجدناها في الكلام الذي نطق به الذي يلي الأوسط . . بعدها شعرت أن الجوف الظامىء ارتوى كؤوس الراحة .

هبت الأجسام واقفة . . دارت العيون في المحاجر . . استقرت هناك حيث الباب الكبير المفضي إلى وسط المدينة .

●●



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مخاوف قرب الشاطئ

شعر

د. محمد حماسة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ذات مساءٍ من خمس سنين
ألقينا بسفينتنا من غير شراعٍ في بحر الحب
واستسلمنا للتيار
تدفعنا الريح الغضبى للموج الغضبان
فتعللنا بالأقدار
والريح العاتية تقول :
« ليس بجوف البحر حنان ليس بجوف البحر حنان »
لم يجزع منا قلب
إن مرّ علينا ليل ضارٍ جاء نهارْ

فتنورنا مرفأنا الغيمانْ
واستشرفنا ريح أمانْ
ومن التجديف الضائع كادت أذرعنا تنهارْ
لكن . . لم تذرف أعيننا دمعة يأس
بل غنينا للأمل الوسنان فأيقظناه
ورمينا في وجه الموج الغاضب بالأحزان
وباصرار الحب تحديناه
وجدلنا من أحلام العمر حبالاً لسفينتنا
وغزلنا من قلبينا أشرعة بيضاءْ
وبعنف الحب دفعناها فوق الماءْ
وبسحر الحب خدعنا الموج وداهنّا الأنواءْ
وبنور الحب أضأنا الليل العاتي فأضاءْ
حتى ابتسم الشط النائي فعرفناه .
يا دنياي
ها نحن الآن على خطوات من شاطئنا المنشود
الريح تغار
والموج يثار
أخشى أن تطغى الريح علينا فنعودْ
كي نبدأ من حيث أتينا ذات مساءْ
من خمس سنين !

ARCHIVE

التحاورات الداخلية حول البقاء في البلد الجحيم

"الى ديستويفسكي"

شعر: عادل عزت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

. . وفي حانةٍ خُنقت بالحكايا أعاد السكارى بناءَ الوجودِ ، وهُدِّم في الصبحِ لما أفاقوا ولكنني قد ذهبتُ لأنثى استراح لديها الهيامْ .

أفكِّكُ نفسي نبيذاً عليها . فما لخيولي تحمحمُ ؟ قد قلتُ إنَّ رحيلي محالْ .

هنا الريحُ تأخذُ مني شرودي ، وآخذ منها روائحَ كلِ البلادْ .

نحيبُ قبيلَ النجومِ دعاني فهمهمتُ خوفاً ، وكان اختلافُ المساراتِ بين النجومِ يُبِينُ اختلاف المساراتِ بين الليالي وبيني فهمهمتُ خوفاً . وها جذبتني مصابيحُ بحرٍ فتيٍّ . . هناك وراء العباب جنونُ الخرافات فانتفض الضوء من كل لونٍ . . وفي حانةٍ خُنِقَتْ بالتمني أعدَّ السكارى التماساً اليهِ ! !« نريد الوصولَ لنيلٍ بغيرِ بكاءٍ على ضفتيهِ » . بكاءٌ بكاءٌ وآهٍ فاني أُخِذتُ بخيط من النورِ نحو طيور تهاجرُ .

ها ملكوت الفضاءِ انتشاءٌ فان مرَّ بالبحر جاء ازرقاقٌ يحاصرني واستبدَّ الشجى بمصيري . سأرحل لكنني قلتُ إنَّ رحيلي محالٌ . رحيلي محالْ .

رجعتُ اليها ، وكانت كسنبلةٍ قد نسوها ببعض الحقولِ البعيدةِ بعد الحصادْ .

أفكُّ نفسي دموعاً على راحتيها ، وأنسى ارتجافي من الظلمِ ، والريحُ تمسح عني سقامي وأمسح عنها وساوسَ كل البلاد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

